

رواية

ممر الهلاك

محمد محمود سليمان

عصير الكتب
للنشر و التوزيع

ممر الهلاك

(ساليچيا)

الكتـــــاب : ممر الهلاك

المـــؤلـــف : محمد محمود سليمان

تـدقيـق لغـوي: نادية محمود

تنسيـق داخلي : سمر محمد

الطبعة الأولى: ينـايـر 2019

رقـم الإيـداع : 2019/1524

I.S.B.N : 978-977-6542-25-9

المدير العام:محمد شوقي

مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس

00201150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

عصير الكتب للنشر والتوزيع

ممر الهلاك

(ساليچيا)

رواية

محمد محمود سليمان

عصير الكتب
للنشر و التوزيع

الإهداء

إلى «ال» شلاتين

وكل من وما قابلته فيها..

وإلى آن،

ابنتي التي أبعدتني عنها الشلاتين في لحظات استثنائية من حياتها، كأن تقهقه للمرة الأولى!

ولأنني لا أضمن أن أكتب ثانية فأهديها فيما هو قادم.

وإلى خاصية مكالمات الفيديو

التي جعلتني ولو ألحق جزءًا بسيطًا مما فاتني معها.

وإلى زوجتي منى، التي تحملت كثيرًا وأنا هناك..

وإلى: أحمد عادل فتوح-محمود بحرية-أسامة الغروبي-محمد راشد عريبي

الذين لولاهم لما كانت الرحلة ممكنة!

وإلى د. أحمد خالد توفيق

الذي جاءني خبر وفاته في آخر أيامي بشلاتين، وكأنها تفاجئني كلما توقعت النجاة..

وتدخر لي كل قبيح..

إلى الرجل الذي لم أتشرف بمقابلته ولكن كلماته نحتت بداخلي الكثير.

إلى الرجل الذي لم أتصور أن أحزن عليه كل هذا الحزن وأنا لم ألتق به مطلقًا..

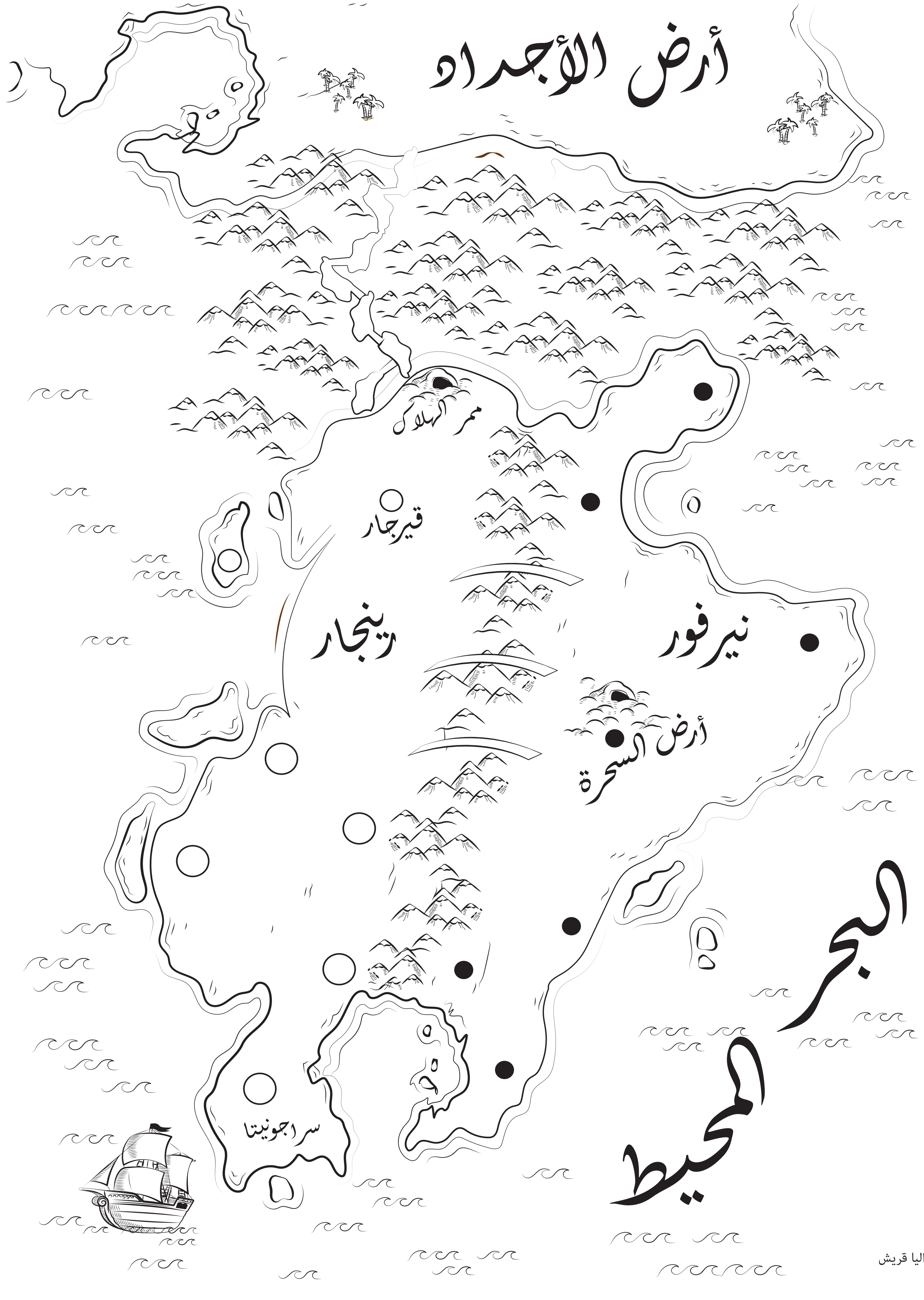
كنا نحسب أنه لم يعد هناك مكان بالقلب ليحمل أحزانًا أخرى.

فجاء هو -الذي يتحرك في الضياء- ليزيح كل الأحزان ويعلمنا ما معنى المصاب الجلل.

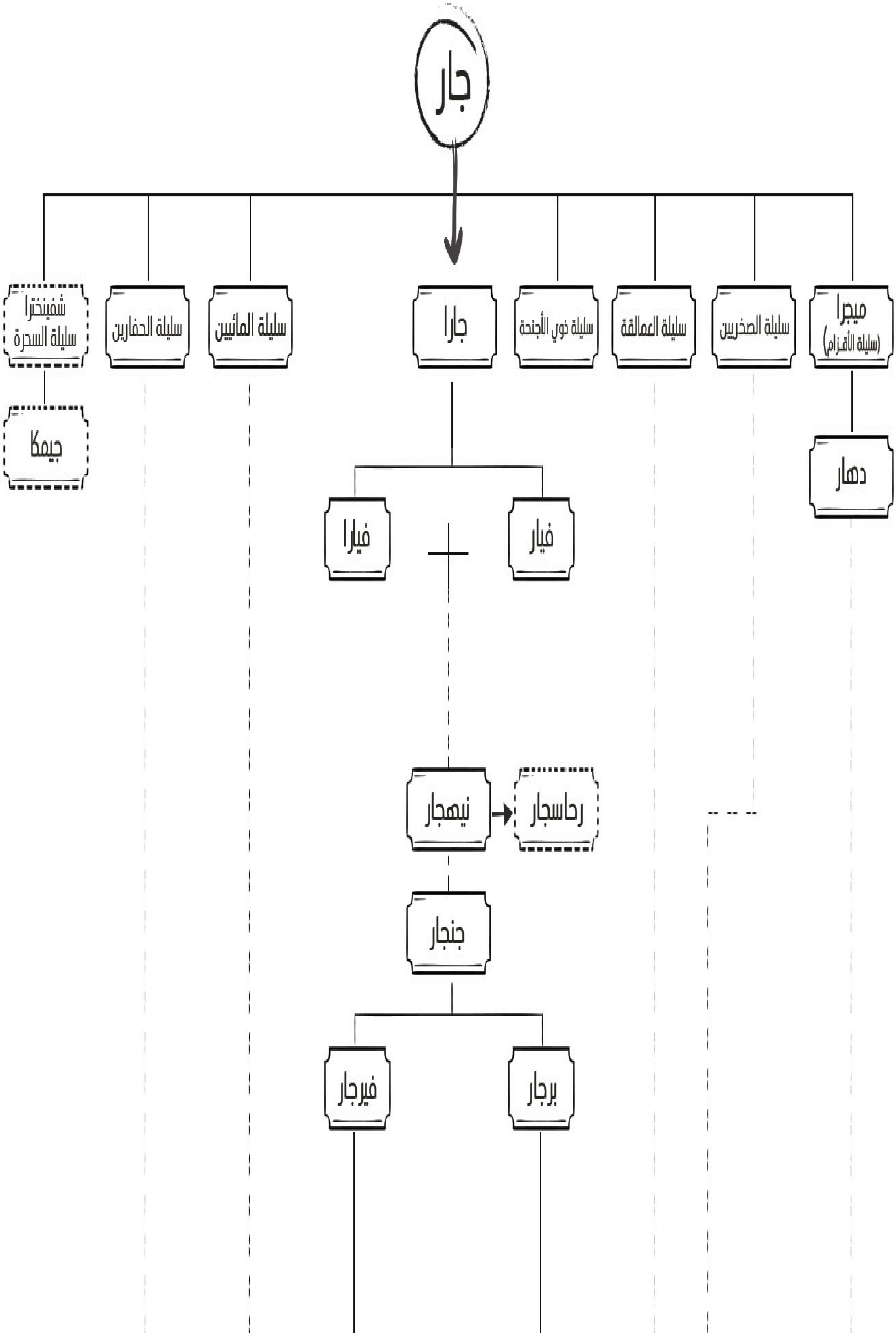
عسى أن تكون في جنتك الآن أيها الغريب!

«اهجر كل أمل.. يا من تدخل»

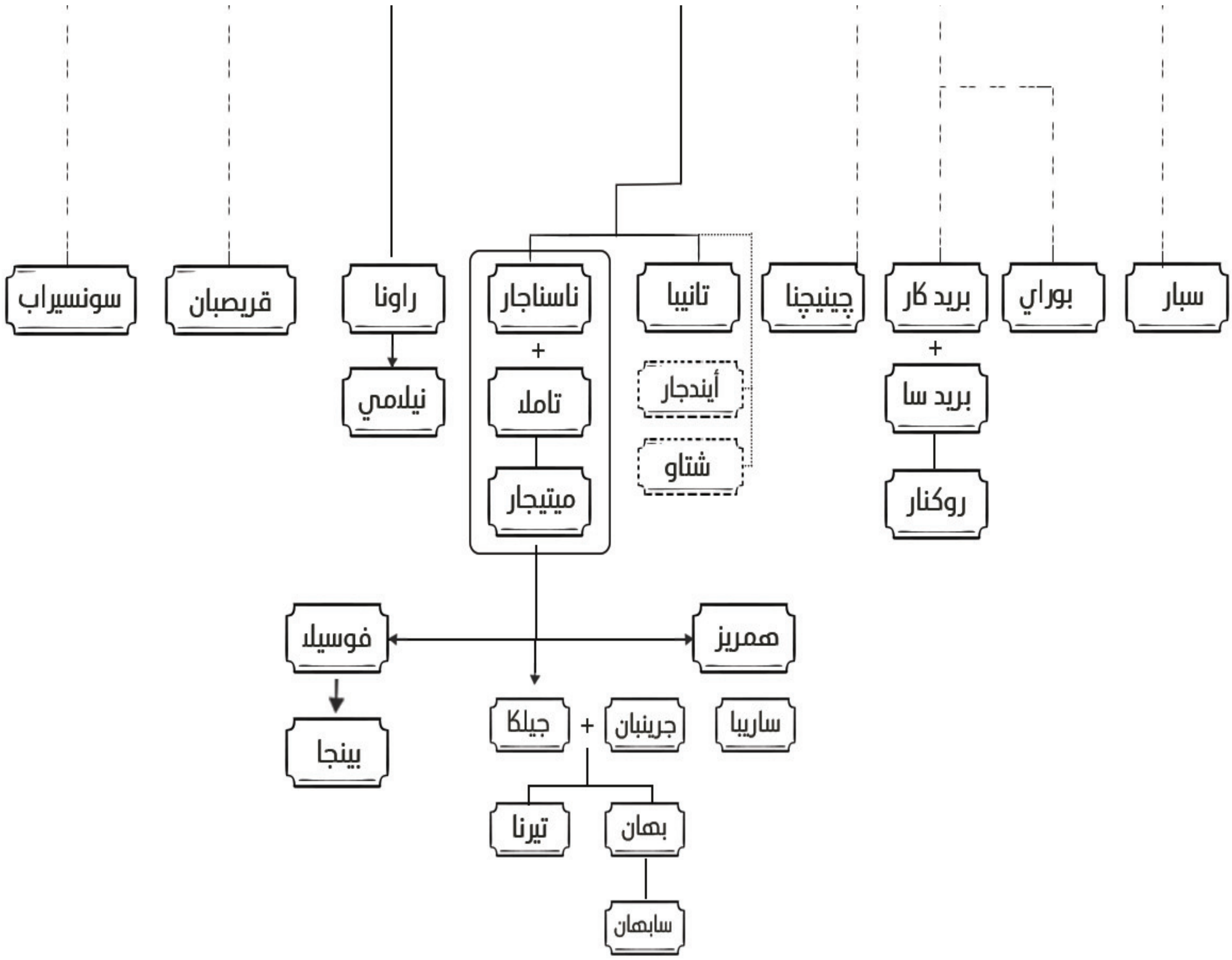
دانتي أليجييري


أرض الأجداد
ممر الهلاك
قيرجار
رينجار
نيرفور
أرض السحرة
سراجونيتا
البحر المحيط

داليا قريش



جار
ميجرا
(سليلة الأقزام)
سليلة الصخريين
سليلة العمالقة
سليلة ذوي الأجنحة
جارا
سليلة المائيين
سليلة الحفارين
شفينخترا
سليلة السحرة
جيمكا
دهار
فيار
فيارا
نيهجار
رحاسجار
جنجار
برجار
فيرجار



سونسيراب
قريصبان
راونا
نيلامي
ناسناجار
+
تاملا
ميتيجار
تانيبا
أيندجار
شتاو
چينيچنا
بريد كار
+
بريد سا
روكنار
بوراي
سبار
فوسيلا
بينجا
همريز
جيلكا
+
جرينبان
ساريبا
تيرنا
بهان
سابهان

بهان

– بهان، بهان، أين أنت يا بهان؟

تنادي الأم «جيلكا» ابنها «بهان» الذي يبلغ من العمر تسعة أعوام من داخل بيتهم المتواضع، على حافة العاصمة «قيرجار» المدينة الأهم شأنًا في المملكة الأعظم «رينجار».

– اتركي بهان لحاله، فهو وأخته يصنعان حصانًا خشبيًا ليشاركا به في احتفالية النشء بالمهرجان السنوي الكبير.

يرد عليها زوجها في هدوء، دون أن يحول نظره عن أولاده من نافذة البيت.

– هل فعلًا سيحدث ما سمعته يا جرينبان؟

تقولها بانتباه وبنبرة خفيضة متناسية سابق عصبيتها في نداء ابنها.

- وما هو الذي سمعته يا جيلكا؟

- هل ستقام مسابقة السيف هذا العام؟

تسأله بلهفة مشوبة بارتجاف للسانها.

- يقال إن ملكنا المعظم سيقوم بنفسه بالمبارزة، وسيشترك جميع الأمراء، بل وحكام الأقاليم.

- ملكنا المعظم سيشارك؟

تصرخ بصوت أعلى من ندائها لابنها لدرجة أنهما سمعاها، فيجري قافلًا هو وأخته «تيرنا» لداخل البيت.

يعتدل والدهم موجهًا كلامه لهم:

- الأنباء تقول هذا، لا يعلم أحد مدى صحة الكلام، ولكن كدأب أبناء النور، لا توجد حرارة بدون «نيبرا» تلك الكرة المتوهجة التي تضيء حياتهم باستمرار.

- ما الذي يعنيه هذا يا أبي؟

يسأله الصغير في لهفة.

– أي أن للأمر حقيقته، حتى ولو لم يكن حقيقيًا تمامًا!

– إذن سنرى الملك يقاتل مرة أخرى؟

تسأله ابنته التي لم تبلغ السابعة بعد.

يسرح قليلًا في النافذة، ثم يعتدل بشبح ابتسامة:

– نعم، هذا من حظكما، أنتما لا تعلمان ما في هذا من شرف.

يصرخ الصغيران في فرحة ويتقافزان في المكان:

– أبي، أبي، هل حقًا رأيته يقاتل في المعركة الأخيرة رأي العين؟

يشع الحماس من عينيه.

– لا.

رد مقتضب أخرسهما، تتسع عيناهما في ذعر.

– بل قاتلت بجانبه في أشد لحظاتها، ومن ثَم أقطعني تلك الهكتارات من الأرض على مشارف العاصمة.

فيقفزان مرة أخرى، ويمسك كل منهما بسيف خشبي مناسب لطوله ويتقاتلان في لهو وفرحة.

ينظر جرينبان إلى زوجته الساهمة ويباغتها بقوله:

- ما بك يا أم الأولاد؟

- ألا تعرف ما بي حقًا؟

- لا، ما الداعي للقلق في أكثر لحظات البلاد بهجة؟

- ألا تتذكر آخر مرة قاتل فيها ملك في مبارزة للسيف ما حدث بالبلاد.

تصدمه الذاكرة، نعم يتذكر جيدًا، وهل ما هم فيه الآن وتغير خارطة الكون الذي يعيشونه إلا جراء ذلك.

- ها هل تذكرت؟

ينتشله صوت زوجته من وجومه.

- هل تتذكر كيف قاتل الجد لأكبر لملكنا المعظم، الملك الأسبق نيهجار ببسالة في تلك المسابقة، ولكن هُزم على يد مجهول من عامة الشعب، والذي اتضح فيما بعد أنه أحد ظلال الساحر الأكبر ذي السبعة ظلال.

يظل على صمته محدقًا في الفراغ.

- وكيف جر هذا المملكة إلى حرب ضروس خسرت فيها الكثير من أبنائها إلى أن قُتل ذلك الظل.

تصمت هي الأخرى محدقة في الفراغ.

- أو تتذكر ذلك القتال بين عم الملك المعظم وأبيه ذلك الذي انتهى بمقتل العم؛ الملك ساعتها، وانتقال الأمر لأبيه، وما تخلله من أحداث منها تلك الحرب الأهلية في رينجار التي هلك فيها أبواي!!

يفرك أصابعه فيما بينها، يأخذ نفسًا عميقًا:

- ما قد حدث قد حدث، ولولا أنه حدث لما آل مآلنا إلى ما فيه الآن.

- تتكلم بالألغاز كعادتك حينما لا تريد التصريح.

تقولها حانقة.

- أبي، أبي، احكِ لنا كيف شاركت في تلك المعركة، أتعلم؟، أنت الأَوحد من بين جميع آباء صديقاتي الذي شارك في تلك الحرب، وإني لأحكي لهن ما حدث دومًا.

تضحك الصغيرة في براءة.

يبتسم الأب، دائمًا ما يحدث نفسه بأن البشر يتكلمون عن الحرب كنزهة، كمبارزات للهو، لا يدري أحدهم ما

تعنيه قطرات الدم على نصل السيف، لا يدرك أحدهم معنى أن تترقب الموت الذي يحصد منجله الرؤوس من حولك.

– أبي هل يعرفك ملكنا المعظم شخصيًا؟

ينتشله صوت ابنه من أفكاره:

– نعم يعرفني، يعرفني حق المعرفة.

– لطالما تساءلت لماذا يقتطع لك الملك كل تلك الأراضي دونا عن الجميع؟ ما الذي يميز ذلك الفلاح معدوم النسب، الجندي الذي يذخر جيشنا بآلاف مثله؟، ليهبه هو دون سواه.

تلمح امرأته لما تحسبه سرًا يخبئه عنها.

يتجاهلها متعمدًا، ينظر إلى ابنيه بحنين جارف.

– هل تريدان أن تسمعا حكاية المعركة مرة أخرى؟

يتقافزان في فرحة مهللين بشعارات الموافقة ليبدأ الحكي المعتاد....

وتغادر زوجته.

المعركة الأخيرة

لا أحد يعرف بالضبط متى بدأت الحكاية، كل ما يعيه الأحياء هنا أنهم أبناء النور، عباد الإله الأوحد، ساكني أرض رينجار التي سميت على اسم أبيهم الأول جار.

تتوسط رايتهم البيضاء دائرة مطلية باللون الأصفر كما الدائرة التي تنير أرضهم دومًا بلا اختفاء أو غروب فتحييها وتحييهم؛ (نيبرا)، لذا عرفوا بأبناء النور.

تنتهي حدود أرضهم ناحية الغرب والجنوب ببحر محيط لم يعبره أحد قبلًا ورجع، أو هكذا يُشاع، ويحيط بهم من الشرق والشمال سلاسل من الجبال العظيمة.

تفصلهم عن أرض الديجور في الشرق التي يطلق ساكنوها عليها (نيرفور)، وتفصلهم عن موطن الحكماء

في الشمال الذي يُعبر إليه عن طريق ممر الهلاك (ساليچيا).

تتكون كلا الأرضين من سبعة أقاليم.

رينجار يحكم كل أقاليم عائلة يمتد نسلها لأحد أبناء جار الأعظم السبعة.

أما نيرفور فتنقسم إلى عدة أنواع مختلفة، أقواهم السحرة، وأضعفهم الأقزام.

لا يصل ضوء نيبرا إليهم، لذا يعيشون في ظلام ومن هنا أسموها -أبناء النور- بأرض الديجور.

قيل بأن أهل نيرفور خلقوا من ضوء نيبرا لذا لا يحتاجون لها، فهم مضيؤون بذاتهم.

في حقبة بعيدة قبل خلق جار بسط السحرة حكمهم على كامل الأرضين، بل وتناحروا مع بعضهم البعض على أرض رينجار قبل أن تسمى بهذا.

وعندما خلق الله جار، أعطاه حكم أرض النور، ولنسله من بعده.

ثار السحرة وقاتلوا على ملكهم المفقود، ولكن جار كان مكتمل الخلق، قيل أنه أقوى مخلوق ظهر على الإطلاق.

تزوج جار سبعة زوجات من مخلوقات نيرفور السبعة؛ السحرة، ذوو الأجنحة، الصخريون، الحفارون، المائيون، العمالقة، والأقزام.

خطوة منه لاستتباب أمره ودحض شر مناوئيه، وأنجب منهن كلهن عدا الساحرة، كانت كل مرة تُخَصَّب منه، ينزل جنينها ميتًا.

قيل أنه تضرع للإله الأوحد ليهبه زوجة غيرها، فأمره أن يمتنع عن جماع أزواجه لمدة سبعة أيام كاملة، وبعدها يذهب بكل زوجة وابنها ليبني لهم بيتًا في أقاليم أرض النور السبعة، ويقضي سبعة أيام بالتبادل في كل بيت، وبعد هذه المدة يلبث في قيرجار، المدينة التي تتوسط أرض رينجار وعاصمتها بعد ذلك، لمدة سبعة أيام وحيدًا، بعد أن يرجع زوجته السابعة سليلة السحرة إلى قومها.

فعل جار كل ما طلب منه حرفيًا، وحملت زوجاته بستة أبناء آخرين، ولدنهن كلهن إناثًا، زوجات أبنائهم المستقبليات.

وفي نهاية اليوم السابع سمع طرقات على باب بيته فجفل!، إنه وحيد في قيرجار وزوجاته في أطراف أرضه لا يستطعن المجيء وحدهن.

فتح الباب ليفاجئ بنسخة شبيهة منه، نسخة نسائية شبيهة منه، من هذه؟!

– أنا جارا.. زوجتك الهدية من الإله.

أنجبت له جارا توأم، فيار وفيارا، الذي امتد نسلهما حتى الآن في العاصمة، والذي حكم أرض النور معظم فتراتها.

أما شفينخترا، زوجته الساحرة فعادت إلى قومها تجر أذيال الخيبة، وكان يحكمهم آن ذاك الظل السادس من الساحر الخامس، فانتظروا طويلًا حتى حانت الفرصة، وذهبوا إلى قيرجار، اختطفوا جارا وأولادها دون علم زوجها، وتمثلت شفينخترا في صورة جارا، لتحمل منه بولد وتفر هاربة قافلة إلى أرض الديجور.

علم جار بالمكيدة التي وقع فيها، فشن هو وأبناؤه وأحفاده أول معركة ضد أرض الديجور، نعم استطاعوا تأديب من قاتلهم من السحرة، وأن يسترد زوجته وأبنائه من الأسر، بمعاونة أخوال أولاده هناك، لكن لم يستطع أن يسترد ابنه، ابنه الثامن.

حين حانت لحظة موت جار، دعا أولاده من كافة أراضي النور ليوصيهم.

ثم جعل خلافته في نسله النقي من جارا، سمع همهمات من هنا وهناك، فأعلن لهم أن هذا هو حكم الإله، فسكتوا، وأضاف أنه حتى لو أخذ المُلك أحد نسله الآخرين، فإنه راجع ولا محالة إلى أبناء فيار وفيارا.

ثم أوصاهم نهاية بالوحدة وعدم الفرقة، حتى لا يحكمهم أبناء أرض الديجور.

قيل بأن آخر كلمة نطقها كانت: (شفينخترا .. لا)، وأبرق ببصره وهو يشير إلى السراب، ثم أغمض عينيه إلى الأبد.

فسرها البعض بأنه رأى زوجته الساحرة وابنه حيث تمثلا أمامه.

وفسرها أخرون بأن ولده نصف الساحر هو من قتله.

لم يعلم الحقيقة أحد أبدًا.

في مسيرة لسبعة أيام، قطعها أبناؤه ليتم دفنه في أقصى الشمال، حين قطعوا ممرًا ضيقًا طويلًا، وجدوا في نهايته رجلًا عجوزًا جدًا، تصل لحيته البيضاء إلى قدميه، وشعره منسدل إلى ركبتيه.

عندما سألوه أين هم، أو من هو..

– من أنتم؟

يقولها وهو يجلس على صخرة موليًا وجهه بعيدًا عنهم.

يصمت الجميع، وينظرون إلى بعضهم البعض.

ينزلون جثمان جار الضخم الموضوع في صندوق خشبي بهدوء، ثم يتقدم فيار في تردد:

– نحن أبناء جار العظيم، سيد أرض النور الأعظم.

– ومن أنت؟

يزدرد لعابه في صعوبة:

– أنا فيار بن جار، سيد الأرض من بعده.

يلتفت إليه في بطء، يهز رأسه متفهمًا:

– أنت أشدهم شبهًا به.

– أتعرفه؟

انطلقت من حلوقهم جميعًا.

– وما الذي أتى بكم إلى هنا؟

متجاهلًا كل همهماتهم.

– لقد أمرنا السيد بذلك.

– أمركم بماذا؟

– أمرنا أن نسير بجثمانه نحو الشمال حتى نلقى.. حتى نلقى.. حتى نلقى ما يدلنا على نهاية مسيرنا.

– وهل وجدتموه؟

يتبادلون النظرات حيرى.

يبتلع فيار لعابه بصعوبة أكبر:

– منذ دخلنا ذلك الممر الذي اختنقت فيه أنفاسنا وقد ظننا أنها نهايتنا جميعًا، وأننا لن نصل حتمًا إلى نهاية لمسيرنا، ثم...

– ثم وجدتموني!

– نعم، وجدنا كائنًا لم نعرف بوجوده قبلًا، ومن الواضح أنه يعرف أبانا جار العظيم جيدًا، بل وقد وجد قبله إن كان توقعي صحيحًا.

– أنت أصغر أبنائه أليس كذلك؟

يتبادلون نظرات حيرى.

– بلى، أنا أصغرهم.

– وسيدهم؟!

تتعالى الهمهمات التي تعالت من قبل أمام جار وهو لا يزال حيًا.

– سيدى ليس من حقك أن تؤلب الإخوة على بعضهم البعض.

– تظن نفسك شجاعًا مثل أبيك؟، قوي مثله؟، تمتلك الحكمة؟

يخرج فيار سيفه في غضب:

– المرة الأولى التي قابلني فيها أبوك، هنا في نفس الموضع، أخرج سيفه أيضًا، ولم يستطع هزيمتي.

– من أنت يا سيدي؟

يقولها فيار في استكانة.

يقف الشيخ في شموخ لا يتناسب مع سنه:

– أنا الحكيم بريدبا بن برينكا، آخر سلالة الحكماء.

لا يلقى القول لديهم شيئًا، يشهق أحدهم:

– آخر الحكماء؟!

ينظر الحكيم بريدبا متبينا من قالها، فيوسع الأبناء ليظهر من بينهم رجل قصير يبلغ نصف أطوالهم، ذو لحية مجدولة على الطرفين.

– أنت دهار بن جار، ابن القزمة ميجرا.

– وأنت الحكيم بريدبا، لقد سمعت الكثير عنك من أبي وجدي لأمي.

يدير الحكيم بريدبا النظر فيهم جميعًا.

– ظن أبوكم أنه بزواجه من أعدائه سيتقي شرهم، فاتخذ من كل عدو زوجة، وأنجب من كل زوجة ابنًا يحمل صفات مشتركة بينه وبينها، وستتناسلون وتختلطون حتى تفنى بينكم صفاتكم، والأقزام ونسل ميجرا هم أقربكم للحكمة.

تتغرب عيناه فيختفي بؤبؤها ويظهر بياضها فقط، ترتفع رأسه إلى السماء، ويشد عصاه بقوة إلى الأرض.

– سيقول نبوءة!

يصرخ دهار.

– وحده النسل النقي سيكمل

ليسترد أرض النور من سيد الديجور،

وحده ابن جار العظيم سيرحل،

عبر ممر الهلاك سيلقى مخاوفه،

عبر رحلته سيعرف من عدوه

وسيعود،

ليكمل ما بدأه جار

سيعود ليحل السلام على أرض النور

ويستأصل في النهاية آخر الشرور.

يأخذ نفسًا عميقًا، وينظر إليهم غير عالم بأي شيء مما قاله.

– هنا تنتهي رحلتكم يا أبناء جار، سأتولى أنا من الآن مهمة الجثمان، الممر الذي عبرتموه هو ممر

هلاككم، ولعمري أنه يوم سعدكم أنكم ستعودون منه سالمين، وسيترك كل ابن منكم أحد أبنائه أو أحفاده، ليتعلم الحكمة، بعضهم سيعود ليصبح حكيمًا كل في إقليمه، وبعضهم سيهلك في شهواته، ولن تنقذه حكمته.

ينظرون إلى بعضهم البعض في حيرة.

- لم ينتهِ الأمر عند هذا.

يباغتهم آخر الحكماء.

- بل سترسلون كل عام بأحدهم، وهو من لا يملك إلا الحكمة وقليلًا من القوة، ليتعلم، لا بل سترسلون باثنين، أحدهما سيتعلم والآخر سيهلك.

يستند إلى عصاه ليقوم، ينظر في عين فيار في ثبات:

- وهذا هو السبيل الوحيد لحفظكم من الفناء.

يبتلع فيار لعابه في صعوبة، تتقلب مقلتاه على الجانبين في حيرة، إنها أول مهمة حقيقية له كحاكم لأرض النور.

يمسك دهار بساعده، ليتفتت إليه فيجده يهز رأسه له بأن يوافق.

– لك هذا.

يجيب فيار بثبات..

فيبتسم الشيخ:

– بل هولك يا ابن جار.. هولك.

تمر السنوات تلو السنوات ويتناسى الجميع ما بدأت به الحكاية، تغمر الحياة أرض النور، ويتكاثر الأبناء وأبناء الأبناء، حتى تغض الأرض بهم، يرحل منهم البعض في البحر ويذهب قليل منهم لمر الهلاك طواعية، ويتزاوج أخرون بأبناء نيرفور، وتتالى الأيام كسابقتها دون جهد.

يسيطر نسل جار من العمالقة أحيانًا على قيرجار عندما يضعف أبناء جارا، ثم لا يلبثون إلا أن يستعيدوا ملكم، يتناوش السحرة على حدود الأرض المتاخمة، فتعقد المهادنات وتقوم معارك بسيطة ليلزم كل منهم أرضه.

تأخذ الأيام الناس فلا يدرون فيما يصبحون ويمسون، وينسون أو يتناسون النبوءات القديمة والعهود الزائلة وكل تخاريف الأقدمين.

متى بدأ المهرجان الكبير أو مسابقة السيف؟

لا أحد يتذكر هذا أيضًا، ولكنه شيء قديم، شب عليه كل من يحيا الآن على أرض رينجار، وتحاكت عليه السير، وقد توقف مرتان.

أولهما حين هُزم الملك نيهجار على يد مجهول من عامة الشعب، فطالب بالملك كما تقتضي الأعراف، وأسلمه له الملك على مضض، وقال ساعتها: (ليس نيهجار بالذي يحطم التقاليد)، فحدث شيء رهيب حين تم وضع التاج على رأس ذلك المجهول الذي دُعي بـ (رحاسجار).

انطفأ ضوء نيبرا

لأول مرة في تاريخ رينجار المحفوظ في القلوب يطمس الظلام أراضيها ولآخر مرة.

وهنا عرف الملك مغبة فعلته وعلم أن ملك أرض النور الآن هو أحد أبناء الظلام.

واقتتل الجميع لفترة حتى قتل هذا الظل من الساحر الأعظم ذي السبع ظلال.

وعادت نيبرا لضوئها وعم السلام.

بعد استتباب الأمر ألغى نيهجار المسابقة وقد عادت في عهد حفيده الملك جنجار جد الملك الحالي ناسناجار.

ثم في عهد ابنه الملك فيرجار، قتل الملك الذي أصابه الجنون ابن أخيه تانيبا في المبارزة قبل النهائية، مخالفًا كل الأعراف والتقاليد الخاصة بالمسابقة، مما أثار حنق أخوه الأمير برجار والد القتيل، اشتعلت الحرب الأهلية في العاصمة قيرجار بين الأخين، وفي النهاية قتله برجار وجميع نسله معه وحاز الملك.

فاستغل الساحر ذو السبع ظلال الفرصة، ودخل بجيشه رينجار ومن تبعه من قبائل أرض نيرفور ليسترد ملكهم المزعوم.

نادى برجار في أولاد النور بالحرب، فتجهز الجميع، وقاتلوا قتالًا شديدًا، وتوالت هزائمهم، حتى دان جيش الظلام من قيرجار.

تفتأ ذهن ناسناجار عن خطة مجنونة، أخذ من أبناء عمومته، ومن والأهم جيشًا صغيرًا، وتسللوا عبر طريق غير طريق الحرب، حتى وصلوا لأرض الديجور

وهناك قاتلوا مجتاحين أرض السحرة، فزُلزل الساحر الأعظم مما حدث، ورجع بنصف جيشه إلى نيرفور، وكان هذا ما ينتظره الملك برجار، فشد على جيوش أرض الظلام وأهلكهم.

ثم تقدم حتى حدود الجبال، ولم يتخطاها كما اتفق مع ناسناجار، منتظرًا إياه.

أما ناسنا وعلى الرغم من حداثة سنه، فقد عرف أن تأخر أبيه أكثر من ذلك معناه مهلكه هو وعصبته، فاستغل الظلام وتخفى ورجع هو وجيشه الصغير دون قتال لجيش الساحر العائد.

وحينما تخطى الجبال وجد جيش أبيه.

قيل بأنه احتد على أبيه ذلك اليوم وأن الملك أمر الجميع بالرجوع فالحرب انتهت!.

أوقف الملك المسابقة، واستبدلها برحلة للصيد يخرج فيها كل عام مع أبناء عمومته.

بعدها بعدة سنوات رجع الملك من رحلة صيد بوليد ملفوف في خرقة، ليعلن أنه ابنه من جارية توفت أثناء الولادة، ليصبح لناسناجار أخ غير شقيق يعوضه مقتل أخيه الأكبر.

ثم لم يلبث أن يصاب الملك بحمى يموت على إثرها، فيصبح ناسناجار الملك وهو ابنا لإحدى وعشرين عامًا.

ويعتقد الساحر الأعظم أنها فرصته لمرة أخيرة!.

ينادي ناسناجار بالحرب، يقسم جيشه إلى فيالق سبع، يرأس كل فيلق أحد أعضاء جيشه الصغير السابق، دارت معارك طاحنة على حدود الجبال، معارك شاب لها الولدان.

حدثت الخيانات، من الجهتين، فالأخوال مالوا لأبناء أخواتهم، والأبناء مالوا لأخوالهم، تارة هكذا وتارة كذلك.

استمرت الحرب لفترة طويلة

أكبر معركة شهدها الخلق،

وأكثرها قتلًا ،

المعركة الكبرى،

المعركة الأخيرة،

ودان النصر لأبناء جار، حتى جاءت المواجهة الأخيرة الحاسمة بين الساحر الأعظم وناسناجار وانتصر ناسناجار واقتحم أرض الديجور مع حلفائه من الأقزام والصخريين.

وقضى على أغلب نسل السحرة، وعين الحكام ليكونوا تابعين له.

ورجع إلى ڤيرجار ليحكم عشرين عامًا في سلام،

وكدأب أبناء جار،

كان السلام يدنو من نهايته

جراء غرورهم وطمعهم!.

المهرجان الكبير

(١)

يدخل جرينبان ممتطيًا فرسه ويجاوره ابنه يمينًا وبنته يسارًا من بوابة العاصمة المفضية إلى سوق المدينة الذي تتوسطه ساحة الاحتفالات.

يشاهد الصبيان زينات الاحتفال المعلقة في دهشة تليق بعمريهما، وفرحة قلما يشعر بها الكبار.

انحدار جرينبان من المزارعين لا يعطيه كل ذلك الشرف، الأرض الشاسعة، الفرس، بل ودخول المدينة من بوابتها بفرسه هو وأبناؤه.

إنعام الملك عليه بقلادة جار العظمى هو ما أعطاه ذلك الحق، بل أضيف إلى اسمه الحقيقي جرينبا، حرف ال (ن)، ليدل على مقامه الجديد، وتوارثه ابنه بها فأصبح بهان.

حيث تشبه القلادة ذلك الحرف الذي ينطق هكذا، وبهذا تساوى مع طائفة الفرسان الحاكمة.

يعرف كثيرٌ من قاطني المدينة جرينبان، فقد كان من ساكنيها قبل أن يخرج من أسوارها، وأيضًا هو من أبطال المعركة الأخيرة الأحياء القلائل.

بمجرد ولوجه ترجل جرينبان تاركًا ابنيه على حصانيهما، متلقيا الترحيبات من أصدقاء وجيران الصبا.

ثم توقف عند حانوت صديقه وزميله في الحرب، ساريبا، تاجر الغلال الذي يشتري منه أغلب محصوله، ويقبع عنده حتى تبدأ الاحتفالات بقدوم الملك وبدأ مسابقة المبارزة.

يجلس مع صديقه على ناصية المحل، تاركا ولديه يلهوان مع أقرانهما أو يشاهدان فقرات المهرجان التي تمر أمامهما في دهشة.

ألعاب بهلوانية، حيوانات جيء بها من مختلف بقاع أرض النور وأقاليمها السبعة، بل إن سحرة أرض الديجور بملابسهم الغريبة ووجوههم الأكثر غرابة أتوا ليرفهوا عن أبناء العاصمة، ويجددوا عهد الولاء للملك المعظم.

– هل ستقابل الملك هذا العام؟)

يسأل ساريبا في قلق واضح

يصمت جرينبان للحظات قبل أن يجيب:

– لا أعلم، حقًا لا أعلم، لم يلقن السنة الفائتة بالحفاوة المعتادة منه، لدرجة أنني أخذت عهدا على نفسي بألا أدخل مجلسه هذا العام، ولكن..

– ولكن ماذا يا جرينبا الصغير.

يقولها صديقه قاصدًا تلطيف الجو وهو يبتسم..

يرتسم شبح ابتسامة على وجه جرينبان هو الأخر متذكرًا الماضي، كم مر من أعوام قبل أن يدعوه أحدهم بهذا الاسم المحبب إلى قلبه، مذ عاد من الحرب قبل عشرين عامًا، وقد صار الشاب ذو الـ ١٥ عامًا جرينبان؛ صاحب الأرض وحامل قلادة جار العظمى وخادم الملك الخاص في المعركة الأخيرة.

رغم مرور كل تلك الأعوام، وكل ذلك الشرف، إلا أنه في قرارة نفسه كان يريد أن يظل جرينبا الصغير، وألا تكون هناك حرب وقتلى، وألا يملك الأرض في سبيل أن يبقى من رحل.

- ابني بهان يريد أن يراه، ويريد أن يراني وأنا أسلم عليه ويعرفني.

تخفت ابتسامتهما معًا..

- إذن فلتأخذ حذرك يا جرينبا الصغير.

- لماذا؟

يقولها ببطء دون أن يلتفت..

- هناك أقاويل عدة عن إصابة ملكنا المعظم بالجنون مثل عمه، أو على أقل تقدير بعدم توقع ردود أفعاله.

يتنهد جرينبان مخرجًا زفرة طويلة تنبأ عما يجيش في صدره.

- لم يعد ملكنا يحرك شغفه شيء، ملك الدنيا شرقها وغربها، أخضع أرض الديجور، ولم يحصل بعد على وريث عرشه رغم زوجته الجميلة ومحظياته، ماذا

تريد من شخص يسير نحو هلاكه وهو لا يملك إلا سيفًا قهر به الجميع، ولكن الضعف آت لا محالة.

يصفر ساريبا متفكرًا، كلمات جرينبان أضاءت مناطق معتمة في ذهنه، هو الذي يملك من الأولاد أربعًا يعملون معه ويتحملون السفر بدلًا منه، فما بال الملك؛ سليل جار المعظم، السيد الأول لأرض الديجور، صاحب الدم النقي، الذي لا يملك وريثًا يخلفه، وحتى أخاه ليس شقيقًا، بل وفي جسده تجري دماء مجهولة النسب!

أي مصير هذا!

أراك أصبحت حكيما يا جرينبان، هل تريد أن تخلف حكيم النور في منصبه؟) ، يضحك محاولًا تخفيف الأجواء

– لا إن مشوار الحكمة طويل، وأنا لم أعد أتحمل مزيدًا من الشقاء.

– خمسة وثلاثون عامًا وتعتبر أنك أنهيت شقائك في هذه الحياة يا مسكين!

– سنتا الحرب مرا عليّ بألف، ألا تتذكر؟!

يشخص ساريبا في الفضاء..

– أتذكر.. أتذكر يا منقذ الملك!

– صه!

يصرخ جرينبان في عصبية؛ قلما رآه أحد عليها.

– ما قلته للتو لا يتكرر حتى بينك وبين نفسك!، هو العهد يا ابن كيربا؟

يتنهد في راحة:

– أعلم أيها السيد جرينبان.

يصمتان ويتفرغا لرؤية الأطفال وهم يلعبون فرحين بالمهرجان.

دأب العالم على أن الجهل بالمستقبل هو أكثر ضمانة للتمتع بالحاضر.

(٣)

تدخل متسللة بخفة من وراء ظهره، مستندًا على حافة النافذة في جناحه الخاص بالقلعة الكبيرة، يشاهد احتفالات شعبه تجري برعايته.

لم يكن يفكر في شيء محدد ساعتها، الحزن يستولي على قلبه يوما بعد يوم مطفئ جذوة الحياة بداخله دون أن يدري.

تلف ذراعيها حول خاصرته، طوله يكاد يبلغ ضعف طولها، وتلثم ما طالته من جذعه العاري الذي لا تغطيه ملابسه.

- فيما يفكر مولاي ومليكي؟

يصمت لفترة تطول:

- لا شيء، أنظر فقط ما يجري بالمهرجان.

- هل تفرح برؤية شعبك سعيدًا؟

تسأله في تؤده.

ينعقد حاجبيه:

- وهل هو ليس بسعيد؟

تبتلع لعابها في صعوبة:

- كادت المجاعة أن تضربنا منذ شهر ولكن الإله الأوحد سلم.

- وهل ضربتنا؟

يسألها في لامبالاة.

كانت تريد أن تحكي له عن نقص الغذاء الذي ينشب مخلبه في مملكتهم ولا يحس به، تعرف أن ما يؤلمه هو الإنجاب لا شيء غيره، وريث من دم جار الأصيل، كي يؤمن جانب المستقبل!.

يبتعد عنها في رقة مزيحًا ذراعيها

– علينا أن نستعد، مجلس الملك سيقام لاستقبال حكام الأقاليم وأرض الديجور، قبل أن تبدأ مسابقة السيف.

يذهب تورد وجنتيها:

– هل لا زلت مصرًا يا مولاي على تلك المسابقة.

لا يرد عليها.

– أنت أعلم مني ماذا حدث آخر مرة أقيمت ولماذا أوقفها أبوك.

يستمر في وضع لباسه دون النظر أو الرد عليها.

تقوم مقتربة منه واضعة تاجه عليه ومنظمة ما هرج من ملبسه.

– أعرف أن المسابقة كانت سببًا لخسارة حبك لراونا، لا تكرر الخطأ، حري بالملك أن يحفظ قوام ملكه ولو تراجع عن أمره، من أن يمضي في طريقه غير عابئ إلا بكبريائه.

ينظر إليها عبر المرآة التي تقبع أمامهما في غضب، يهم بقول شيء فتقاطعه دقات على باب مخدعه، يأمر الحارس بالدخول، فيعلمه بقدوم حكيم النور لمقابلته، يسمح له.

يدخل أكبر حكماء المملكة الملقب بحكيم النور ليمثل أمام الملك المعظم

- هل جئت أنت أيضًا لتثنيني عن قرار المبارزة.

يضحك الحكيم في براءة:

- مولاي، أنت تعلم جيدًا من هو أنت ومن هو أنا، وأنا أيضا أعلم جيدًا من هو أنت ومن هو أنا، لقد ربيتك صغيرًا، وخدمت عمك وأبيك قبلك، فلم أر مليكا كمثلك، وهل هناك مثل من أخضع الأرضين لملكه حتى جار العظيم لم يفعل ذلك.

تهدأ وتيرة الملك:

- إذن أية رياح طيبة أتت بك؟

- دأب الملوك على الفعل، ودأب الحكماء على النصح.

- إذن فهات ما عندك.

- إذا كنت عازمًا ولا محالة، فتمسك بتقليد الملك المعظم، ولا تبارز إلا المبارزة النهائية.

يزفر حانقًا ثم يقوم، فينحني حكيم النور وزوجته احترامًا.

- عشرون عامًا من استتباب الملك شيء عظيم

يصمت لبرهة ثم يكمل:

- لا أعلم أتعرفون ما يأتي من أنباء من الأقاليم وأرض الديجور؟

يتلبثا بالصمت فيكمل:

- أنباء عن اجتماعات سرية لترتيب البيت من بعدي، عمري خمسة وأربعون عامًا فقط ويرتبون البيت من بعدي.

يلتفت إليهم فجأة فيطأطئوا رؤوسهم

- أتعلمون لماذا؟، لأنني عقيم، ناسناجار الملك المعظم نسل جار العظيم حاكم الأرض والبحر والسماء وكل هذا الهراء عقيم لا يلد، وأخوه الذي سيرثه ذو دم مجهول، لا يُعرف له أم، أتدرون أي مصيبة نهوي إليها.

– مولاي من قال بأنك عقيم، يمكن أن تكون ..

– صه!

يصرخ فيرتجفا:

– صه!، هل تصبرينني على أمري!، لقد أنجبتِ من ابن عمي سابقًا، قبل أن يموت الوليد، وماذا عن كل تلك المحظيات، هل كلكن عقيمات وأنا الصحيح الأبرأ!

يقلب نظره بينهما..

– هل هناك حل أيها الحكيم؟

يغمغم:

– مولاي، دعنا نصلي إلى الإله الأوحد عله يستجيب دعائنا

– نصلي، أصلي منذ عشرين عامًا دون استجابة، فلتصل لي بتضرع أكبر أيها الحكيم.

– سأفعل يا مولاي سأفعل.

– هل هذا هو كل ما بجعبتك؟

– ماذا تقصد يا مولاي؟

– ألا يوجد أي شيء أفعله فيجعلني الإله أنجب؟.

يطأطأ رأسه مرة أخرى:

– ليس هكذا تجري المقادير يا مولاي

يهز الملك رأسه في تفهم وتهكم:

– نعم نعم، ليس هكذا تجري المقادير، أن تدخل البلاد حقبة مظلمة وتغيب نيبرا عن سمائنا ولا أعرف لماذا.

– مولاي، فلتهدأ، الإله هو من خلقنا ويعرف جيدًا ما يفعله.

– هذا صحيح بلا شك، وأنا أيضًا أعرف جيدا ما أفعله.

– مولاي.

تتكلم الملكة محاولة تلطيف الجو المحتقن، فيشير إليها بالصمت:

- إذا كانت هكذا تجري المقادير، فلأفعل الشيء الوحيد الذي أجيد فعله؛ السيف، وليعلم الجميع أن ملكهم كما هو، وأن عشرين عامًا لم تنقص من قوته شيء.

يخرج سيفه من غمده في قوة، وينزله ببطء حتى يرى ذؤابته

- فلتجر المقادير كما أراد الرب!.

فينتهي الحديث.

(٣)

– فرصتنا التي لن تتكرر أتت إلينا، فلنستغلها)

يجفل وهو يسمع الصوت الذي انطلق فجأة ليباغته وهو يرتدي ملابسه، ينظر إلى الخلف فيظهر الظل الأخير للساحر الأعظم من وراء الستار.

– هل أخفتك؟

يبتلع ريقه في صعوبة:

– أنا نسلك فكيف أخاف منك!

يكشف عن أسنان سوداء وهو يبتسم، جلد وجهه المختلط أسود وأحمر، الحلقة المعدنية التي تخترق أنفه، وملابسه السوداء المخيفة، تضفي عليه مهابة لا يستطيع أحدهم الفكاك منها.

- ألم يحن الوقت لتخبرني من هي أمي؟

يجفل الساحر ثم ينظر إليه بثبات:

- ليس بعد، فلنهتم بالأمور العظيمة أولًا، ملككم المعظم أعاد المبارزة، وسأدعم أحدهم ليقتله خلالها.

يتحشرج صوته:

- الملك يقاتل المبارزة الأخيرة فقط، ولا قتل في المسابقة.

يضحك الساحر بصوت يقترب من حفيف أوراق الشجر:

- ملككم المعظم غبي، كجار وجميع نسله الحقيقة.

يقترب منه في تؤدة:

- ناسناجار مغرور، ويريد أن يثبت للأحياء أنه لا يزال أقواهم، لذلك سيقاتل من أول المسابقة، وسيُقتل.

- وماذا لو لم يحدث؟

- لم يحدث ماذا؟

– لم يُقتل وفاز بها؟

يتراجع دون أن يدير جسده، وكأنه يطوف على سطح ماء رائق:

– لا تخف، ساعتها سيذهب بعيدًا، وسيكون أدعى لتصبح الملك بأقل قدر من المواجهة.. والخسائر.

يختفي وراء الستار وتظل ضحكاته الشبيهة بحفيف أوراق الشجر تتردد في الغرفة.

(٤)

يصطف المدعوون بانتظام في انتظار مقابلة الملك المعظم بقاعة الحكم الدائرية الفسيحة، من جاء ليعيد تقديم الولاء، ومن جاء لطلب الهبات، ومنهم من يريد فقط السلام على ملكه المعظم.

يقف جرينبان في الصف خارج القاعة ممسكًا بيد ابنه الصغير بهان، تاركا تيرنا مع أقرانها من بنات ساريبا لتلهو معهم.

تتقافز النشوة في عين الصغير، من فرط حماسته لمقابلة الملك المعظم، الذي حفرت صورته في ذهن الجميع بأنه مخلصهم.

– الصغير جرينبا الذي أصبح عظيمًا يقف في الصف كأبناء الفلاحين.

يخبط أحدهم على كتفه في قوة وهو يقولها في مرح، فيستدير جرينبان في لهفة ليقع بصره على ثلاثة من كبار الفرسان معاوني الملك وقادة جيوشه، لم يتغير فيهم شيء منذ المعركة، إلا الشيب الذي غزا شعرهم ولحاهم، حتى لباسهم الحربي كامل عدا غطاء الرأس.

المَرِح الذي يماثل جرينبان في الطول هو بريدكار من نسل جار والصخريين، أشجع مقاتلي رينجار بعد ناسناجار، ونائبه الأول والقائد الثاني للجيش من بعده.

يقف على يمينه حفيد العماليق چينيچنا، الذي يبلغ جسمه ضعف أجسامهم في الطول والوزن، هذا العابس دومًا الذي لا ترى ضحكته، يهابه الجميع لغلظة أخلاقه وتهوره وقسوته، ولكن يدركون جميعًا أنه رغم هذا عادل ولا يظلم أحدًا.

وعلى يساره يقبع سبار القزم، أكثر معاوني الملك مودة، وأقربهم إلى عامة الشعب.

تتسع ابتسامة جرينبان في مودة حقيقية:

- أنا من أبناء الفلاحين يا سيدي.

- أه عظيم وأيضًا متواضع.

يوجه بريدكار كلامه لرفيقيه فيضحك هو والقزم وجرينبان ويظل چينيچنا على صمته وتجهمه.

- هلم.

يحتضنه بريدكار في ألفة، ثم ينزل جرينبان ليحتضن القزم، وينحني محييًا العملاق في احترام.

يقف ليقدم ابنه إليهم:

- هذا هو بهان، صغيري.

عيناه المفتوحتان على آخرهما من الدهشة والخوف..

- هؤلاء هم مساعدي الملك، وفرسان الحكم والجيش.

ينحني القائد بريدكار على ركبتيه ليصل للصغير، ينظر في عينه بحب:

- هل تعرفني يا بهان.

لا يجيب الصغير من فرط الانبهار، يكرر سؤاله فينتشله من واديه الأخر.

– بالطبع يا سيدي، وهل هناك فتى لا يعرف القائد بريدكار، نائب الملك.

يضحك في وجهه ويوجه كلامه لأبيه:

– هذا الولد سيصبح ذا شأنا يا جرينبان، عندما يشب فلتبعثه لي ليصبح فارسًا.

ثم ينظر إلى الولد مرة أخرى:

– أم تريد أن تظل فلاحًا مثل أبيك؟

– لا بل فارسًا يا سيدي فارسًا.

– ومن قال لك بأن أباك ليس بفارس؟

كانت هذه من القزم سبار..

تتسع ابتسامة جرينبان وتطل نظرة التقدير من عينيه، يقوم بريدكار وينظر مبتسمًا هو الأخر لجرينبان:

– نعم هو فارس بالفعل.

ثم يشرأب عنقه ليسأل العملاق:

– أليس كذلك أيها القائد چينيچنا؟

لم يحرك ساكنًا، ولكن من يدقق النظر يدرك أن تجهمه قل ولو لدرجة.

يهمون بالانصراف لدخول القاعة، قبل أن يلتفت بريدكار مرة أخيرة لجرينبان:

- هل تريد أن نصحبك للملك فتتخطى الجموع؟، هذا حقك علينا.

يبتسم جرينبان مرة أخرى لحفاوتهم وتقديرهم:

- بل سأبقى في مكاني علّي أعلم الصغير شيئًا.

يضحك بريدكار:

- أبوك هذا من حظك الحسن في الحياة يا بهان، فلتحافظ عليه

يربت على رأس الصبي ثم يلحق برفيقيه.

(٥)

يدخل الملك المعظم ناسناجار بن برجار إلى قاعة الحكم الدائرية، التي تشبه نيبرا أصل حياتهم، فيقوم الجميع مطأطئ الرأس احترامًا، ثم عندما يجلس، يخر الجميع سجودًا، عدا الملكة فيارا جارا وحكيم النور فوسيلا، والثلاث قادة الأكبر في المملكة؛ بريدكار، چينيچنا، سبار.

يخبط بكفيه ليقوموا، ويصطفوا من حوله بشكل دائري، تقدم السحرة وباقي قاطني أرض الديجور ليجددوا ولائهم، ثم تقدم حكام مقاطعات أرض النور ليقروا بثبات ملكه، ثم فتح الباب لتدخل الرعية من شتى البقاع، لتقديم الولاء، أو لرد المظالم، أو لطلب الهبات، أو حتى لبركة مقابلة الملك المعظم.

مر كثير من الوقت وبدأ الملك يتململ في مجلسه، كان يأمر بالهبات فتعطى، أو يحيل أمر التقصي لبريدكار فيوزعه على من يشاء أو يفصل فيه هو، ثم يخبر الملك بعد ذلك بما حدث.

يدخل بهان لأول مرة في حياته تلك القاعة، من باب جانبي على يمين الملك.

عيناه تجري يمنة ويسرة مما يراه وهو غير مصدق، ثم لم تلبث إلا أن تتعلق بالملك الذي تجبر هيئته من يراه على الخضوع والاحترام.

يشدد أبوه على يده ليطمئنه، ثم يرى غمزة من عين بريدكار يبتسم لها، هو في حضرة الملك ومعه أبوه، ونائب الملك يلاطفه بنفسه.

عندما يصلان أمام الملك يركعان له بالتحية المعتادة لأبناء النور، ثم يقومان ونظرهما إلى الأرض من الخشية.

كان السأم يملأ الملك، بل ولعب اليفعوم المسكر برأسه أيضًا.

- بريدكار.

يتقدم ليقف ورائه على اليمين منتظرا تعليماته

- هل هذا هو جرينبا الصغير خادمي السابق؟

تظهر علامات التعجب على جميع الحاضرين الذي يعرفون جيدا مكانة جرينبان لدى الملك، حتى بريدكار الذي يُعرف بحضور الذهن تلجلج في الإجابة

- نعم سيدي.

- ومن معه هذا.

- ابنه الصغير بهان.

- تقصد بها إذن؟

- بل بهان يا سيدي، ملكنا المعظم ناسناجار بن برجار أنعم بقلادة جار لخادمه جرينبا الصغير، فأصبح يعرف بجرينبان، وولده أنجبه بعدما قُلِّد فأخذ لقبه بالتبعية.

أحس معظم الحاضرين بغلظة رد بريدكار على الملك المعظم، تلك الغلظة التي لا تشفع لها إلا صداقتهم المتينة منذ الصغر.

ولكن فوجئ الجميع بغضبة من الملك الذي قام من كرسيه، فقام الجميع، ثم استدار لبريدكار صارخًا:

– ومن أعطاه القلادة؟

– أنت يا مولاي؟

يجيبه في صوت خفيض.

– إذن فهو لا يزال جرينبا بالنسبة لي.

ثم يستدير ليواجه جرينبان وبهان، فيركع جرينبان مرة أخرى، ويحاول أن يشد بهان ليركع دون جدوى، فالصغير خائف ولا يعرف ماذا يجري.

يتقدم بريدكار خطوة ويهمس في أذن الملك بكلمات غير مسموعة، يزداد بريق عيني الملك وكأنه لم يسمع شيئًا، ينزل درجتين فتنخفض رؤوس الناس مثلهما.

تنظر الملكة إلى الحكيم في خوف فتراه هادئًا كعادته.

– ما اسمك أيها الصبي؟

يسأل الملك في غلظة، الولد الخائف لا يجيب.

– ألم تسمعني أيها الأخرق؟

يتقدم بريدكار لينبه الملك، فتستوقفه نظرة الصبي الخائف، فيبتسم له ويطمئنه بهزة رأس.

- بهان

بصوت غير مسموع.

- ماذا؟

- بهان أيها الملك المعظم.

- بهان، بل اسمك هو بها.

- لا يا سيدي بل هو بهان، تناديني أمي وأختي وأقراني به دومًا.

يجيبه الولد بعفوية يتعجب لها الجميع.

- لقد قدر لك اسم بها، وأأمرك بذلك.

- ولكن اسمي هو بهان.

يصرخ الصغير ويبدأ في البكاء

- هل تعرف لماذا تسمى ببهان؟

ينظر الصغير في خوف ويتوقف عن نزف الدموع:

– لا يا سيدي.

– أخبره يا جرينبا الصغير.

– لأن ملكنا المعظم أنعم عليّ أنا جرينبا الصغير بقلادة جار العظمى، ولولاها لبقيت جرينبا وأصبح ابني بها.

يشد الابن يده من أبيه في غضب، ثم ينظر إلى الملك ويقول له في قسوة وحكمة لا تتناسب مع سنه الصغير نسبيًا:

– اسمي هو بهان، ولقد أتيت مع أبي الذي قاتل بجانبك لأسلم عليك، وليس من حق أحد إلا الإله الأوحد أن يسلبني اسمي.

يفاجأ الجميع بذلك الرد القاسي، فتتصارع الأفكار في رأس الملك الذي أحس بقلة هيبته أمام الصغير:

– جرينبا الصغير.

يصرخ بشدة.

– أمرك يا مولاي

يخفض رأسه أكثر في خوف.

– ماذا كنت تعمل لدي؟

– خادم يا مولاي.

– هل كنت جندي لتقاتل؟

– لا.

– هل كنت تملك سيفًا؟

– لا.

– هل قدت جنودًا؟

– لا.

– هل قتلت أحدًا؟

يسكت قليلًا:

– لا.

– إذن بحق الإله كيف قاتلت بجانبي.

ثم يضحك فيضحك جميع من بالقاعة إلا جرينبان وابنه والملكة والحكيم والقادة الثلاثة.

يتوقف الملك فجأة عن ضحكه الصاخب فيصمت الجميع، ثم ينظر شذرًا إلى الراكع أمامه وابنه الذي تجري دموعه الآن في صمت:

- هل قاتلت بجانبي يا جرينبا الصغير.

- سيدي.

كانت هذه من بريدكار الذي تقدم ليثني الملك عما يفعله، فلم يجيبه الملك إلا بنظرة ثبتته مكانه:

- فلتجب يا جرينبا الصغير

يقولها ويضحك.

يسكت هذه المرة كثيرًا ثم يجيب ودموعه تتساقط على أرضية الحجرة:

- لا.

- إذن أسحب منك القلادة لترجع جرينبا ويرجع ابنك بها جراء كذبك عليه.

وكاد يشرع هو والحاضرون في الضحك لولا تدخل الحكيم الأكبر:

- سيدي، هذا لا يجوز.

ينظر إليه ناسناجار في غضب، فيكمل الحكيم بلا خوف:

- لا يجوز لأي ملك كان أن يسحب قلادة جار الأعظم بعد منحها، القلادة لها قوتها التي تمنعها من الوقوع في الشخص الخطأ، ولقد ظلت مع جرينبان ردحًا من الزمن يؤكد لنا أنه يستحقها.

وقد ضغط على اسم جرينبان بقوة عل الملك يفيق من سكرته.

يتوقف الزمن في القاعة في تلك اللحظة لعدة دقائق، يبدو أن الخمر بدأ يزول من عقل الملك:

- فلتستعدوا لمسابقة المبارزة.

يقولها في قوة وهو يغادر فتهرع ورائه حاشيته إلا چينيچنا الذي ينزل إلى جرينبان الذي ظل مطأطئًا رأسه وممسكًا بيد ابنه مرة أخرى الذي ظلت دموعه على حالها، وجميع من بالقاعة يغادر.

يجلس على الأرض فيكاد يحاذيهم في الطول، يرفع رأس جرينبان الغارق هو الأخر في الدموع، ينظر إلى بهان الصغير ثم بصوت أجش لم يسمع بهان صوتًا أكثر غلظة منه:

– جرينبا الصغير لم يقاتل بجوار الملك فحسب يا بهان، بل أنقذ ملكنا المعظم من القتل في حين كنا كلنا جرحى ومتناثرين على أرض المعركة، ولولا جرينبا الصغير لم تكن هنالك مملكة ولا ملك معظم ولا قلادة جار حتى.

يقف والدموع أيضًا تقف في أعينهم:

– لك أن تفخر بجرينبان، ولكن عليك أيضًا ألا تفشي هذا السر لأحد.

يتركهما ليلحق بالملك ثم يستدير بعد خطوتين:

– جرينبا الصغير استحق القلادة وأصبح جرينبان، وأنت تستحق اسمك «بهان» ولا أحد يمكنه أن يسلبه منك.

كانت هذه أطول مرة سمع فيها جرينبان چينيچنا يتكلم.. ذلك الصامت دومًا!.

(٦)

يقف حكيم النور فوق صخرة ضخمة ليعلن المسابقة في ساحة المبارزة التي تتوسط أرض المهرجان الكبير.

بصوت قوي، تظهر آثار العمر عليه يتكلم:

- مسابقة المبارزة تعود من جديد.

تملأ صيحات الجمهور الفضاء فيكمل:

- لا قتل هذا هو قانونها الأول.

للملك حق القتال في المبارزة النهائية فقط.

لحكام الأقاليم وكبار الفرسان الحق في القتال في التصفية النهائية فقط.

لأبناء جار من كافة الأراضي الحق في المشاركة والتصفية لملاقاة كبار الفرسان.

القتال بأسلحة حقيقة أو خشبية، لو أختار أحدهم خشبية لوجبت على المتبارزين.

استمتعووووووووووووا.

فتعود الصيحات لتملأ المكان.

(٧)

يدخل بريدكار على الملك وهو يرتدي لباسه الحربي للمبارزة، يساعده أحد خادميه وزوجته الملكة

– أريد سيدي وحده رجاءً.

فتنسحب الملكة ويتبعها الخادم في صمت.

– ما الذي فعلته هذا يا ناسنا؟، أجننت؟

يسحب ناسناجار سيفه في سرعة ويوجهه ناحية عنق صديقه، تلمس ذؤابة السيف حنجرته:

– أنت تعرف جيدًا لو أردت جز عنقك الآن لما منعني شيء، أتخاطب ملكك باسمه مجردًا!

يحس بريدكار بقطرات الدم الدافئة على جلد رقبته:

- وأنت تعرف جيدًا أنه لولا الصداقة لما تكلمت.

يستمر ناسناجار بتوجيه سيفه:

- أنا هنا ملكك أنسيت؟

- لم أنس، ولكن هنا والآن في الغرفة المغلقة لم تكن أبدًا إلا صديقي.

تتراخى قبضة ناسناجار ومن ثَم يعيد سيفه إلى غمده، موليا ظهره لبريدكار الذي لم يدر ماذا عليه أن يفعل وهو يمسح قطرات دمه

- أنت تعلم حقا ما فعلته يا بريدكار، أنت صديقي وتعلم حقًا ما أمر به، فلا داعي للكلام، الكلمات تميت ما بين الأصدقاء من مشاعر.

يصمت بريدكار لوهلة:

- وقد تكون هي الملاذ الأخير لأفكارنا المتضاربة يا ناسنا.

لأول مرة يحس بريدكار بالضعف في صوت رفيق عمره حينما أجاب:

–لم أعد قادرًا على تحمل أي منهما؛ الأفكار أو الكلمات.

يطيل الصمت هذه المرة:

–ناسنا.

–ماذا تريد يا بريدكار.

–أسألك بحق الصداقة التي بيننا، هل أنت بخير؟

يزفر طويلًا:

–نعم أنا بخير، إن كنت تقصد حكم المملكة، وأكل لحم البراكي الشهي، وشرب اليفعوم المسكر، ومضاجعة محظياتي، فأنا في أحسن حال.

يصمت هنيهة:

–أما غير ذلك فلا أعلم حقًا.

–لماذا أعدت المسابقة يا ناسنا.

يضع آخر قطعة في ملابسه:

–جميعكم تسألون نفس السؤال، وجميعكم يعلم الإجابة مسبقًا.

يلتفت إليه ويقترب منه:

- ستعلمون جميعكم القريب قبل البعيد، أن ملككم المعظم لا يزال معظمًا، وسيخضع من في قلبه شك قبل أن يخضع من يعرف الحقيقة كاملة.

يتراجع بريدكار خطوتين إلى الخلف، ثم تتحول لهجته فجأة إلى المرح الذي يعرف به:

- وماذا لو خسرت مني في المباراة النهائية، هل ستتنازل لي عن الحكم؟

ينفجران بالضحك.

- صدقني يا صديقي بريدكار، لن أتنازل فقط، ولكن سأكون نائبك الأول إن أردت.

- ممم، سأفكر.

يقفز عليه ناسنا في سرعة، ممسكًا بذراعيه وراء ظهره، ومعرقلا إياه ليجسم فوقه مصيبًا حركته بالشلل.

لم يستطع بريدكار التملص، باغتته الحركة، ولا يستطيع المقاومة.

– هل رأيت، لقد ملأ لحم البراكي عضلاتك بالوهن، غزت الشعيرات البيضاء رأسك وستحتله لا محالة، أصبحت لا تتوقع الخطر، لا تدير رأسك باتجاه غرائزك، كبرت وأصبحت حاكمًا كما عرفناهم دوما يا بريدكار.

ثم فجأة قام من عليه محررًا إياه:

– هل عرفت لماذا أعدت المسابقة يا بريدكار؟

– ستقابلني في المباراة النهائية أيها الملك المعظم ناسناجار.

يقولها بمنتهى الجدية.

– وسأرهقك كعادتي.

مطلقًا ضحكة صاخبة كعادته.

– أتمنى ذلك يا صديقي العزيز المترهل

يغمز بعينه متمنيًا إثارة غضبه.

– دعني أرحل الآن وسأثبت لك في الساحة أن قادتك لا يزالون يحكمون سيطرتهم.

– أنا أعرف جيدًا أيها العزيز بريدكار.

– هناك شيء أخير.

– ما هو؟

– جرينبان، يجب أن تطيب خاطره هو وابنه.

يدير ناسناجار رأسه بعيدًا عن صديقه:

– جرينبان لا دخل له بأمر بينك وبين الإله.

ينظر بسرعة تجاهه وهو فاتحًا عينيه على آخرهما:

– أنا صديقك منذ الطفولة يا ناسنا، الصغير الذي بعثه أبوه ليصبح من الفرسان، منذ تعلمنا الكلام سويًا، مغامراتنا الطفولية، النساء اللاتي تقاتلنا عليهن، مطاردة البراكي في السهول السوداء خارج قيرجار، غزوتنا لأرض الديجور، قتال عمك، والحكم بجوارك، كل هذا يجعلني أعرفك يا ناسنا، أعرفك جدًا لو كان لي أن أقول هذا.

– عندما تنتهي المسابقة سنرى ماذا نفعل.

فيغادر بريدكار دون كلمة.

(٨)

تقدم للتصفية النهائية خمسة عشر فارسًا ممن لهم الحق في ذلك، تفاوتت الأعمار ما بين آباء وأبناء، وتقدم من عموم أبناء جار تسعة أفراد فقط، فقد كان الجميع يعلم أنه لا أحد يجاري الفرسان في المبارزة، فهم بين طامع لمجرد القتال ورؤية الجاريين له، وبين مغبون ممن رُفض قبلا للالتحاق بالفرسان.

دخل ناسنا جار إلى الساحة مع التسعة في التصفية الأولية، فوجئ الجميع بذلك بما فيهم بريدكار الذي اعتقد أن الملك المعظم سيبارز المباراة النهائية فقط.

ارتجفت أوصال أبناء جار التسعة، فالملك المعظم بكل ما أوتي من هيبة، وجسم يقارب ضعف أحجامهم، بالقطع له تأثير نفسي عليهم.

تقدم حكيم النور ليجري القرعة، فأشار له الملك المعظم باقتراح، بأنه يريد أن يقاتل التسعة مرة واحدة، صمتت الجماهير الملتفة في رهبة، ثم انطلقت في هتافات حماسية لتأييد القرار، وتحفيز حكيم النور على الموافقة، فوافق.

بدأ القتال بين ناسناجار وتسع من نسل جار على أرض الساحة الدائرية.

سحب أحدهم سيفًا خشبيًا، فرضخ الجميع.

وانطلقت المسابقة.

وقف ناسناجار في منتصف الساحة حاملا سيفان في يديه، وساكنًا منتظرًا هجوم المتنافسين، الذين تحلقوا حوله في حركة دائرية لم تهز في ثباته شيئًا.

ثم تجرأ أحدهم وهجم من الخلف، على حين غرة لكي يفاجئه، فما كان من ناسنا إلا أنه حرك سيفه الأيمن للخلف ليصد الضربة.

ثم بدأت المبارزة، هجم الجميع دفعة واحدة، وناسناجار لا يفعل إلا أرجحة سيفيه في الهواء وهو يتحرك دائريًا ليصد ضرباتهم، مع التفاتاته يمينًا أو يسارًا حسب اتجاه الهجوم.

لوحة بديعة من فنون القتال يبتدعها ناسناجار، أعظم مقاتلي رينجار، دون أن يصيب مقاتليه بأذى.

استمر الحال فترة، تزيد فيها حماسة الجماهير وتنقص، وينظر حكام الأقاليم والفرسان فيها نظرة حسد إلى خليفة جار، الملك المعظم ناسناجار، الذي يذكرهم بأقوى حيواناتهم وأكثرها افتراسًا؛ بادوغلا.

ثم تحرك ناسناجار أخيرًا، صد إحدى الضربات بسيف ثم وجه بالسيف الأخر ضربة خفيفة أطارت السيف المقابل وصاحبه، وأطاحت به من الحلقة حوله ومن المسابقة.

انهالت الضربات عليه من الخلف دون تأثير، ثم انطلق يعدو ناحية الجدار ليعطيه ظهره، وليواجه الثمانية المتبقيين.

تباطأوا في الهجوم، فهم يعلمون أنه بلا أمل، حماسة الجمهور هي من دفعتهم.

لم يستغرق الأمر ثوان معدودة.

لم يدرك أحد ماذا حدث أو كيف حدث!

منذ وهلة كان ناسناجار يواجه ثمانية.

ويحرك سيفيه في الهواء بحركات متناسقة.

والآن سبعة مطروحون أرضًا.

وواحد فقط يقف مرتجفًا لا يدري ماذا حدث.

لدرجة أن سيفه سقط من تلقاء نفسه وطفق يجري.

معلنًا أن ناسناجار هزم تسعًا من أبناء جار في منافسة وحده.

وفي عدة ثوانٍ..

صمت عم المكان للحظات..

ثم انطلق أبناء جار مرة أخرى في الهتاف بجنون لملكهم المعظم..

ناسناجار

أقوى مقاتلي المملكة

بل أقوى مقاتل على الإطلاق.

(٩)

خرج حكيم النور مرة أخرى على الصخرة التي يعتليها حين يخاطب الحاضرين.

معلنا بدء التصفية النهائية بين الستة عشر من فرسان نيرجار.

ثمانية مبارزات تحدد بالقرعة.

مبارزات تخلب الألباب وتبث الاستمتاع في نفوس أبناء جار.

من أخبارها:

أن يقاتل بريدكار ابنه الشاب روكنار فيفوز عليه وهما يضحكان، ويتنبأ الجميع بمستقبل باهر له.

وأن يتقابل چينيچنا مع سبار في مقابلة غير متكافئة، ويعلن سبار أنه اشترك فقط لأنه من قواد المملكة، مع أنه يعتبر نفسه العقل بجانب باقي القادة الذين يمثلون القوة، وسط ضحكات الحاضرين، وأنه لولا العار لانسحب، تبدأ المبارزة ويمر من تحت أرجل چينيچنا فيمسكه ويرفعه من ملابسه، فيسقط سيفه وتنتهي المبارزة وسط تصفيق وابتهاج الجميع.

ويقابل الملك حاكم مقاطعة الصخريين، ابن العم الأصغر لبريدكار، وقد اختارا سيفان خشبيان، تكسرا، فالتحما جسديًا، واسقطه ناسناجار بسهولة، لا تتناسب أبدًا مع ما يعرف عن الصخريين بالثبات.

يتأهل ثمانية فرسان ليتقاتلوا ويصعد أربعة منهم.

كانت المنافسة الأبرز في تلك المرحلة هي مبارزة بريدكار مع چينيچنا.

اختار بريدكار هراوتين خشبيتين صغيرتين، أما چينيچنا فأمسك بهراوة خشبية ضخمة تتناسب مع حجمه.

بدأ القتال بتوجيه ضربة قوية من الهراوة الضخمة ليتفاداها بريدكار في صعوبة، ثم يجري باتجاه أخر ليلحق

به العملاق في تثاقل، فيلتفت بريدكار ويجري باتجاه العملاق في سرعة ثم يقفز ليتحرك دائريا على حائط الساحة ليدور حوله في سرعة وخفة، ويضربه ضربتين سريعتين على رأسه من الخلف، ثم ينزل قرب ركبتيه ليضربه بالهراوتين ضربة قوية، فيسقط على ركبتيه، ليتساوى طوليهما، فيعالجه بريدكار بضربة على جانب رأسه فيسقط معلنًا فوزًا خاطفًا لبريدكار ينتزع الآهات من حناجر الحاضرين.

وفي المنافسة قبل النهائية يفوز الملك على أخيه غير الشقيق الذي أظهر مهارات لم يتوقعها منه أحد، كيف وهو تربية أخيه الملك المعظم!.

ويسقط في مفاجأة مدوية بريدكار أمام القائد قريصبان، أحد قادة المائيين المعدودين.

(١٠)

يقف الملك مقابلًا لقريصبان، يعرفان بعضهما جيدًا، كيف وهو الوحيد الذي هزمه قبلًا في المسابقة التي جرت في عهد عمه وقُتل فيها أخوه.

كان ناسناجار ساعتها صغيرًا حديث العهد بالقتال، وقريصبان متمرس بأساليب السيف جراء إقامته المتكررة بأرض الديجور.

الأسوأ أنه بعد المبارزة تقدم وطلب من الملك أن يتزوج بنته راونا؛ حب ناسنا الحقيقي، والتي كان مقدرًا لها أن تتزوجه، فوافق الملك الأسبق ضاربًا بكل التقاليد عرض الحائط، وأعلن عن إعطائه ابنته زوجة لقريصبان، وحين قتل ابن أخيه وهزمه أخوه والد ناسنا في المبارزة النهائية، أخذ قريصبان زوجته وهرب إلى مقاطعة المائيين، وقيل

بأنه قاتل إلى جانب الساحر قبل أن يرجع ويقيم بمقاطعته التي عرف فيها بالشجاعة، وبعد أن بسط ناسناجار حكمه على الجميع، كانت كثير من الأشياء تغيرت، كبر الشاب المفعم بالحب، تزوج الزوجة السابقة لابن عمه ليحصل على نسل نقي، استسلم المائيون، وماتت راونا!.

لم يدر بنفسه ناسناجار إلا ويده تمتد إلى سيفه الحقيقي، يظهر شبح ابتسامة على وجه قريصبان ويسحب هو الآخر منجله، ليتقافز الجمهور فرحًا حين أحسوا بأنها مبارزة ستليق بالحدث النهائي، في حين تجهم بريدكار على غير عادته.

تقدم حكيم النور ليعلن المبارزة، وفي النهاية أضاف بصوت خفيض وكأن قلبه أحس:

- تذكرا أيها الفارسين أنه لا قتل هنا اليوم.

تبدأ المبارزة وتشتد الضربات، الاثنان يقدمان من الفنون ما يخلب العقول.

ناسناجار يراوغ، يتقدم، ينسحب كشاب في أشده، يظهر جليًا تفوقه على منافسه، الذي بدأ يظهر عليه التعب، وقلة الحيلة.

يهجم الملك بشدة ليحصر غريمه بين الحائط والصخرة الضخمة التي يعتليها حكيم النور، ثم يسقط قريصبان، لينقض عليه الملك بسيفه فيصده بالمنجل، يضغط الملك ويتحمل قريصبان، حتى يكاد وجهيهما يتلامسان.

يفاجأ الجمهور بابتسامة تظهر على وش قريصبان المحتقن، ثم بكلمات يلفظها هامسة نحو الملك الذي يفتح عينيه على آخرهما ويتراجع بالسيف، فيرمي قريصبان منجله بعيدًا، معلنا استسلامه وهو يضحك، ووجه الملك يكاد ينفجر من الاحتقان.

– لاااااااااااااااااااااا يا ناسنا.

– لاااااااااااااااااااااا يا سيدي.

كانت من بريدكار وحكيم النور في نفس الوقت.

التفت إليهم الحاضرون في غير فهم.

ثم سمع الجميع صوت السيف العملاق وهو يمزق أحشاء قائد المائيين على أرض الساحة الكبيرة التي تتوسط المهرجان الكبير في مسابقة المبارزة التي كان قانونها الأول والأوحد..

لا قتل!.

الرحلة

(١)

جرت الأمور بسرعة شديدة وسط ذهول الجميع، لم يلاحق أحد الأحداث حتى يفهمها أو يستطيع تحليلها للوصول إلى الأسباب التي أدت لذلك.

قتل الملك المعظم ناسناجار قائد المائيين قريصبان.

مخالفًا بذلك القانون الأزلي لمسابقة السيف.

كانت الكلمات التي نطقها حكيم النور في اجتماع تنحية الملك ناسناجار هي كل ما علق بالأذهان.

عم صمت تام بعدما سمع الجميع وقع السيف داخل جسد قريصبان.

نزلت الدماء الزرقاء التي توضح أصله النقي الذي ينحدر من المائيين.

ضحكة متشفية ارتسمت على وجه قريصبان.

وغضب رآه الجميع على وجه ناسناجار.

غضب لم يروه إلا منذ عشرين عامًا.

– ثم انتهت المسابقة.

بصوت حكيم النور الوقور، فانسحب الجميع

حينما حدثت سابقًا، وقُتل أخو ناسناجار بيد عمه، ثار أبوه وقاتل أخاه، وآل الملك إليهم.

فماذا سيحدث الآن؟

كان هذا هو شاغل الجميع

– ما رأيك يا جرينبان؟

يسأله صديقه سارييا.

– فليرحمنا الإله الأوحد.

– ما رأيك يا بريدكار؟

يسأله رفيقه سبار.

- ما الذي قاله ذلك اللعين قريصبان ليدفع ناسنا للقتل!

- ما رأيك يا حكيم النور؟

يسأله تلميذه بينجا.

فيصمت ولا يرد.

- لماذا فعلت ذلك أيها الملك المعظم؟

تسأله زوجته فياراجارا.

فيغادر الحجرة.

(٣)

استقر الأمر على تخلي الملك طواعية عن الملك لأخيه.

وسيرحل لمر الهلاك في رحلة للتكفير عن خطيئته.

كان هذا حكم حكيم النور حينما سأله الملك في قاعة الحكم أمام الأشهاد.

فوافق.

خلع تاجه وترك صولجانه على الكرسي وغادر القاعة، تاركًا الجميع خلفه.

- إلى أين يا سيدي؟

انتزع بريدكار بسؤاله الجميع من سباتهم.

يلتفت في تؤدة:

- سأنام قليلًا، فلدي رحلة طويلة.

(٣)

ينظر جرينبان إلى السبع شجرات السحرية التي تقع فوق أعلى تبة في قيرجار؛ ليراها الجميع.

حينما خلق الإله جار، خلق معه تلك الشجرات لتحدد لهم الوقت.

تنمو واحدة وراء الأخرى في نصف اليوم، ثم تعود للأرض في النصف الآخر بدءا من اليمين.

انتصف اليوم الآن حين نبتت آخر شجرة في الصف

وستبدأ رحلة الرجوع.

سبع شجرات..

سبع ساعات، مرتين..

سبع أيام..

سبع أسابيع..

سبع شهور..

كل شيء في هذا العالم يتكون من سبعة أشياء.

لا يعلم الحكمة من ذلك، ولم يهديه تفكيره الطويل لشيء.

نيبرا تقع فوق السبع شجرات.

يطيل النظر في اتجاههم، فتخفت نيبرا للحظة.

يسود الظلام خاطفًا ثم يرجع النور.

ينظر جرينبان مرتاعًا في جميع الاتجاهات فلا يرى أحدًا.

ساعة نوم أبناء جار قد حانت ولا يوجد منهم أحد في شوارع المدينة.

يبدو أنه خيل إليه.

- هل خفتت نيبرا؟

بهان الذي ساءت علاقته به كثيرًا بعد توبيخ الملك يسأله في براءة الأطفال وخوفهم الفطري.

إذن فقد تأكد أنه لا يهذي.

لا يعرف ماذا يحدث ولا من يسأل.

ينظر باتجاه قاعة الحكم التي تقع على مرمى البصر ويعصف الخوف به.

لقد رأى ملكًا جديدًا متوجًا.

وهو يعرف آخر مرة توج ملكٌ وخفتت نيبرا ماذا حدث.

هو يعرف ما يعنيه هذا جيدًا.

(٤)

تضع يدها الرقيقة على وجهه فيستيقظ، تواجهه ابتسامتها الجميلة التي طالما أحبها:

- لماذا فعلت ذلك يا ناسنا؟

يبتسم لها، هي لا تتذكر آخر مرة رأت ابتسامته تلك، وهو لا يذكر متى دعته باسمه مجردًا هكذا من قبل:

- فعلت ماذا؟ قتلت ذلك اللعين أم تخليت عن الحكم أم رحيلي إلى ممر الهلاك؟

- لماذا جعلتني أحبك؟

تبتسم في دلال فينفجر ضحكًا:

- كل بنات جارا تحب ناسنا، مذ وعيت إلى هذه الحياة وعيت إلى تلك الحقيقة.

- وناسنا يحبهن؟

- ناسنا متيم.

فتضربه بيدها الصغيرة في صدره وتتأوه هي، فيأخذها إلى صدره.

- أما لماذا قتلته فهو ثأر قديم، ذكرني به بكلماته البلهاء، ففعلت له ما أراده.

أما لماذا تخليت عن الحكم فلكي أهرب، منذ تولي أبي الحكم وأنا أواجه وأقاتل، أقاتل وأواجه، وقد حان الوقت لأهرب قليلاً.

أما لماذا سأرحل إلى ممر الهلاك، رضيت بحكم الكفارة لحكيم النور، ذلك الرجل يعرف أكثر مني، بالإضافة إلى أنني لم أواجه مغامرة منذ فترة طويلة، مغامرة تثير روحي الكامنة.

- لكنك تعرف أنه لا أحد يعود من هناك إلا القلة، الحكماء، وأحد أعمامك القدامى ذهب ولم يعد، ممر الهلاك مثل الماء، حُرِّم على غير أهله.

تجيبه والدموع تتساقط من عينيها.

- يحكى في الأساطير أن أولاد جار السبعة عادوا كاملين، وأنا تجري بداخلي دماء جار النقية، غير أن هناك أخبارًا بأن عمي رجع.

يصمت قليلًا:

- أنت تعرفين أنني لا أحب أن أعطي وعدًا وأخلفه، فلا أريد أن أعدك بأنني سأعود، ولكني أعدك بأنني سأبذل قصارى جهدي للعودة.

(٥)

– سنرحل معك، هذا أمر لا رجعة فيه.

كانت هذه من بريدكار في الاجتماع المصغر الذي جمعه مع ناسنا وچينيچنا وسبار وحكيم النور وفياراجارا.

– هل لأنني أصبحت لا أملك يصبح أمركم لا رجعة فيه.

يقف ناسنا غاضبًا.

– اهدأوا، لم نأت هنا للتقاتل.

صوت الحكمة سبار يتكلم.

– هذا خطأي، لو هزمت ذلك اللعين لم تكن لتحدث كل تلك الأشياء.

يصرح بريدكار في حسرة.

– لا يوجد خطأ لأحد.

يتكلم حكيم النور في هدوء

– كل الأمور مرتبة بعناية من قبل الإله الحكيم، حتى حكمي حتى رضا الملك عنه، ناسناجار كان من حقه أن يرفض ووافق، كلنا يجري في ممر حياته، قبل أن نجري في ممر هلاكنا.

يصمت الجميع للحظات

– لماذا تريدنا أن نظل يا ناسنا.

تهدأ وتيرته ويجلس مرة أخرى:

– أولًا هناك أخي، ذلك المترف الذي لم يمسك سيفًا في حياته، ولا هم له إلا الدعة والنوم.

لقد تعجبنا جميعًا من مبارزته إياي، نعم علمناه في صغره ولكنه لا يريد حياتنا تلك.

سيحتاجكم بجانبه حتى لو خيل له عكس ذلك.

ثانيًا: هناك زوجتي، الملكة التي فقدت منصبها بتخلي زوجها عن حكمه، ما ذنبها، أريدكم أن تحموها.

ثالثًا: ما حدث كان سيحدث ولو بعد حين، أموت وسوف يحدث كل الأمر أنه عُجِّل.

رابعًا: أنا من اخترت ذلك فما ذنبكم؟

اخترت ذلك فما ذنبكم!، لقد كنت دوما تختار يا ناسنا وكنا دائمًا ورائك، حينما قتل الساحر أخي بوراي كان اختيارك للحرب، حينما فقدنا صديقنا سونسيراب كان قرارك بالمغامرة في أرض الديجور، دائمًا أنت تختار ودائمًا نحن من نذنب.

يسكت الجميع.

– ولكننا نحب ذلك يا ناسنا، نحبك ونحب اختيارك ونثق بك أيها المغفل.

يصرخ بريدكار في غضب.

– هل هناك أي رجعة في قرارك يا مولاي؟

تسأل فياراجارا في ضعف.

– لو تراجع عن رحلته الآن لن يكون له الحق في المطالبة بالملك مرة أخرى.

يجيبها حكيم النور.

– وهل سيعود؟

يتهكم بريدكار.

– إذن فلا تذهب يا مولاي.

تستعطفه زوجته

يتنحنح حكيم النور:

– لقد علمت مولاتي قبل قليل عن طريقي أنها تحمل في أحشائها نسلك.

ينتصب الجميع حتى العملاق چينيچنا.

ينظر حكيم النور للأرض:

– لم نعلم إلا قبل لحظات من الاجتماع وذلك سبب تأخرنا، دخلنا لنبشركم فوجدنا الغضب يستعر في الحجرة.

- ولماذا لم تخبرونا ساعتها؟

يصرخ بريدكار.

- لو أطفأنا النار بالماء داخل غرفة مغلقة، لاختنقنا بدخانها.

- تبا لك أيها المأفون، وتبا لحكمتك البالية.

يمسك ناسنا ببريدكار وهو يقفز ليلكم حكيم النور.

- إنه شيخ أيها الفتيّ، لن يتحمل ضرباتك.

يهدئه ناسنا.

ثم يلتفت ليرى زوجته تبكي في حرقة، يتقدم ليأخذها بين ذراعيه في حنان:

- الآن أعدك أنني سأعود.

يقوم لينظر إليهم:

- نسل جار الحاكم القادم لأرض النور والديجور أمانة في أعناقكم، فلتحافظوا عليه بأرواحكم.

(٦)

تم الاتفاق أن يبقى الثلاث قادة ليحموا المملكة وما في بطنها، وسيرحل ناسنا ومعه حكيم النور الذي سيوكل مهامه لتلميذه بينجا حتى يعود.

أراد بريدكار أن يرسل ابنه روكنار مع ناسنا فرفض، الرحلة قصيرة حتى ممر الهلاك، لن يعبروا إلا الصحراء المتاخمة لحدود قيرجار الشمالية حتى يصلوا إليه، لن يواجههم إلا البراكي، وناسنا يحب لحمهم مشويًا.

قبل أن يرحل ذهب ناسنا وبريدكار متخفيان إلى منزل ساريبا ليعتذر إلى جرينبان.

جرينبا الصغير عندما سمع ملكه يعتذر خر ليقبل قدمه.

ولكنهم كانوا على عجالة من أمرهم، ولم يرهم الصغير بهان الذي كان نائمًا ولم يستيقظ رغم المحاولات.

حينما أفاق أخبره أبوه بذلك فلم يرد عليه، لم يصدقه مثلما صدقه قبلا بأنه قاتل بجانب الملك ناسناجار، حتى لو أكد ذلك له جميع القادة.

على حدود العاصمة تركوهم، احتضن ناسنا جميعهم، لم يأت أخوه ليودعه.

وحينما احتضن بريدكار قبل أن يقفز إلى فرسه ليرحل، همس له في أذنه:

- لو أصاب الملكة أو ما بداخلها مكروه، سأقتلك أيها الوغد... يا أخي الحقيقي.

لم يرد عليه بريدكار، بل ردت عليه دموعه.

- بريدكار، لا تسمح أن تغتالها يد الغدر كما حدث مع زوجتك.

تنهمر دموعه أشد وهو يتذكر زوجته التي لا يدرى حتى الآن مما أو ممن قتلت!

مدت الملكة يدها لتلمسه، فأمسك بها ثم سحبها لتعتلي فرسه وقال لها بصوت غير مسموع للبقية:

–لقد سألت همريز العراف وقال لي بأني سأعود بعد سبعٍ، لا تقلقي، ولا تخبري أحدًا.

يغمز لها بعينه فتضحك.

ينزلها ويرحل.

(٧)

بعد عدة أيام من رحيل الملك يستيقظ بريدكار على جلبة عظيمة خارج منزله، يخرج ليجد سبعة من الفرسان ينتظرونه

- ماذا تريدون؟

يصرخ في عصبية، لقد تخلى بريدكار عن كثير من مرحه مؤخرًا.

- يريدك الملك المعظم أيندجار لاجتماع.

دهش بريدكار لسماع ذلك:

- وكل هذه الجلبة لاجتماع!

ينظر إليهم في ثبات:

– اذهبوا وسألحق بكم.

– أمرنا الملك المعظم باصطحابك.

– ماذا؟، أنا بريدكار قائد الجيوش أيها الأوغاد، ارحلوا وإلا..

– أمرنا الملك المعظم باصطحابك.

يرد عليه قائد السبعة في غلظة.

(٨)

يجلس الملك الجديد على عرشه ويقف وراءه تلميذ الحكيم بينجا، وشخص غير معروف، شاب جميل المحيا قاسي النظرات.

يقف سبار وچينيچنا في مواجهة الملك منتظرين قدوم بريدكار ليبدأ الاجتماع كما أخبرهم الملك.

يطول الانتظار ويتململ الملك في جلسته، يهم بقول شيئًا فينفتح الباب في عنوة مثيرًا ضجة عالية، يلتفت الجميع ليروا الحارس ينظر إليهم بارتعاب، ثم يكمل الرمح ليخترق صدره، ويظهر إليهم رأسه، يقفز الملك خائفًا من كرسيه، ويحتمي وراء چينيچنا الذي يمسك هراوته، يقع الحارس ليظهر من ورائه بريدكار مغطى بالدماء وبجانبه ابنه روكنار ممسكًا بالرمح.

يتقدم بريدكار في غضب، ليرمي رأس قائد الجنود السبعة تحت قدم أيندجار:

– عندما تبعث لبريدكار لتجلبه عنوة، تحتاج إلى سبعين فارسًا وليس سبعة فقط أيها الطفل.

يسترد الملك جأشه، ويحاول أن يثأر لكرامته.

يهرع نحو درجات السلم المؤدية للعرش ثم يلتفت وهو في نصف المسافة ليصرخ بطريقة مسرحية:

– أرأيتم ما يفعله، يهدد ابن جار المعظم ملك البلاد.

(بوفف)، يبصق بريدكار دمًا من فمه.

– أنت لقيط أيها الوغد، تسري بداخل جسدك دماء غير معلومة، دماء نجسة.

– بريدكار فلتهدأ.

يكلمه سبار.

– فلتصمت أنت أيها القصير، لا يأمرني أحدكم بشيء.

يتحرك الملك ليجلس:

– هناك تغييرات ستحدث.

ينظر إليهم بضحكة سخيفة ترتسم علي شفتيه، متجاهلًا كل ما حدث للتو من جانب بريدكار.

– چينيچنا سيذهب كمبعوث خاص للملك لأرض الديجور، العمالقة هناك يثيرون شغبًا وأريده لينهيه.

يشير چينيچنا برأسه موافقًا ويظل واقفًا.

– الآن يا چينيچنا.

يضيف أيندجار.

تظهر علامات الحيرة على وجوههم قبل أن يشير برأسه مرة أخرى ويخرج مغادرًا.

– سيحل محل چينيچنا، صديقي شتاو.

يشير إلى الشاب الجميل الذي يقف جانبه، فيحييهم برأسه.

– ستتغير أشياء كثيرة كل في موعدها.

ينظر إليهم.

– سبار ستبقى حيث أنت حتى أعرف ماذا سأفعل بك.

ينحني سبار في احترام

– هل انتهيت؟

كانت هذه من بريدكار الذي لا يعرف ماذا يجري بالظبط

– نعم انتهيت.

يستدير بريدكار ليغادر في دهشة، هل أراق دماء سبعة بلا طائل، هل قتل الحارس الذي رفض دخوله إلا بعد أن يستأذن في سبيل لا شيء.

– بريدكار.

يصرخ الملك بقوة، يلتفت إليه.

– هل أمرتك بالمغادرة؟

يكظم بريدكار غضبه، ويتقدم الخطوتين اللتين تراجعهما.

– اذهب لتأت لي بالملكة السابقة.

- لماذا؟

يسأله بريدكار في دهشة.

- ليس لك أن تسأل ملكك عن أوامره يا قائد الجند.

يجيبه في استهزاء.

يكظم غضبه مرة أخرى ويستدير ليذهب للملكة.

- لأتزوجها يا بريدكار.

وينطلق في الضحك:

- أليس هذا ما فعله ناسناجار معظمكم قبل ذلك؟

لم يستدر بريدكار، توقف لوهلة، ثم أكمل سيره.

(٩)

يقتحم بريدكار وابنه مخدع الملكة، التي تقفز في فزع هي ووصيفتها.

- ماذا تفعل يا بريدكار؟

تسأله في دهشة وهي ترى الدماء التي تغطيه.

- سيأخذك روكنار إلى مكان أمين، لم يعد هذا المكان إلا خطرًا عليك.

يقولها وهو يلهث.

- كما اتفقت معك يا روكنار، وبعد أن تأمن عليها تذهب لتخبر ناسناجار بما حدث.

يشير إليه برأسه موافقًا إياه.

- سأشتاق إليك روكنار ابني الحبيب.

يحضنه في شدة.

- مهما سمعتم فلا تلتفتوا، اذهبوا الآن.

يدفعهم ليغادروا من النافذة، ثم يمسك بذراع ابنه في شدة:

- أخبر ناسنا بأني بذلت في ذلك حياتي.

يبكيان وهما يحتضنان بعضهما، ليدخل أول الجنود.

- الآن يا روكنار ولا تلتفت، لا تلتفت يا ابن الأوغاد.

يصرخ فيه وهو يدفع عبر النافذة الأرضية.

يواجه بريدكار صفي الجنود الذين يتوافدون على الحجرة، يخرج خنجراه الطويلين ويهجم.

يطيح بهم على الجانبين، لا يزال أقوى مما يتصور ذلك الملك الوغد.

سيقتله.

لو أطاح بهؤلاء سيقتله ويتولى الملك لحين رجوع ناسنا.

هذا هو الحل الوحيد.

فلتذهب القوانين البالية إلى الجحيم.

راقت له الفكرة مما زاد من حماسته في القتال واقترب ليخرج من الغرفة.

ثم توقف فجأة.

أوقفه رمح اخترق قلبه مباشرة.

ينظر ليرى الملك وساعده شتاو الذي قذف الرمح.

هو يعرف ذلك الرمح جيدًا.

الرمح الثنائي الرأس ذو القضيب الأسود المخيف.

هناك في المعركة الأخيرة رآه.

هو يعرف صاحبه.

تلك العين التي لا يخطاها في وجه شتاو.

(تبا لغبائنا!!)

يريد أن يصرخ بها فلا يستطع يسقط وهو لا يدرى هل ستنجو أرض النور تلك المرة أم لا!.

(١٠)

– ممر الهلاك.

يقولها ناسنا في ثبات.

(ساليچيا)، يبتسم حكيم النور ويتذكر رحلته السابقة فيه قبل أن يعود لقيرجار، يقرب للملك فهو من أبناء فيار بن جار، ولولا رحلة كهذه لكان من الممكن أن يصبح هو الملك في وقت سبق.

يشعر بالتعب، خلال رحلتهم أحس به عدة مرات دون أن يظهر ذلك لناسنا.

كان قراره الأول بمرافقة الملك لذلك الأمر، شعر بدنو نهايته، فأراد أن يرحل للأرض التي ينتمي إليها حقًا.

يهمان بالدخول فيسمعا حوافر خيل تأتي مسرعة، يلتفتان ليريا روكنار يسابق الريح ليلحق بهما.

– هذا الغبي بريدكار لا تزال رأسه بحاجة إلى الكسر.

يقولها ناسنا في ضيق.

يصل روكنار وهو مجهد من أثر السرعة التي أتى بها، يترجل ويترجلان، فيركع تحية لهما.

– أبعث بك أبوك مخالفًا تعليماتي.

– سيدي لقد مات أبي وهو يقاتل أخاك، فأخوك كان يريد الملكة ليتزوجها.

ينظر ناسنا والحكيم لبعضهما البعض في دهشة، يحثانه فيحكي لهم في عجالة عما حدث.

يستشيط ناسنا من الغضب ويهم بالرجوع.

يمسكه حكيم النور.

– لقد وصلت إلى خلاصك، فلتتم رحلتك وإلا سيذهب جميع ما فعلناه سُدى.

– ألم تسمع ما قاله.

يصرخ فيه..

– سمعت يا سيدي، ولكن لا مفر، ممر الهلاك يدعوك لملاقاته.

يظل ناسنا على غضبه حتى يلتفت إلى روكنار ليسأله:

– وأين ذهبت بالملكة؟

يقترب منه ويهمس في أذنه بعدة كلمات يتحول بعدها وجه ناسنا ويهدأ، ينظر إلى الأرض حاسرًا.

يصمتان احترامًا لتفكيره .

قبل أن يتحرك باتجاه ممر الهلاك.

يتبعانه في صمت ثم فجأة يسمع ناسنا صوت مكتوم وراءه، يلتفت ليجد حكيم النور وهو ملقى على الأرض ويحاول روكنار مساعدته.

يهرع إليه، ويرى ملامح الرحيل على وجهه.

– لقد كنت أعلم أنها النهاية.

يبتلع لعابه في صعوبة:

- كنت أريد فقط أن أرشدك خلال الممر الذي خضته قبلا.

ينظر إلى ناسنا في شفقة:

- ستقابل أعظم مخاوفك وأكبر آثامك، تحل بالصبر يا ناسنا.

كانت المرة الأولى التي يخاطبه فيها باسمه مجرّدًا طوال حياته.

- تحل بالصبر وأرجع فابنك ينتظرك.

ثم غادر الحياة.

يحفر ناسنا وروكنار قبرًا لحكيم النور ويضعان شاهدًا من ملابسه عليه وعصاته منتصبة.

ثم يتجهان نحو ممر الهلاك.

خيل لناسنا بأنه فم بادوغلا مفتوحًا لافتراسهم!!.

ممر الهلاك

(ساليچيا)

ممر ضيق صاعد بين جبلين هو

تحكي الأساطير الكثير عنه

ومهما كان ناسنا هو أعظم أبناء جار الحاليين

ومهما فعله في حياته

يبقى المجهول هو أكبر خوف قد يواجهه

في سابق الزمان قد يعتبرها مغامرة

أما الآن وهو في طريقه نحو نهايته

تاركًا خلفه زوجة وولدًا منتظرًا

يعلم أنه لم يعد كالسابق

ناسنا الذي جاب أرض النور والديجور

وقتل الساحر الأعظم

وأخضع الجميع فعليا تحت رايته

سمع أن عما لأبيه فعلها سابقًا

عبره وعاد ولم يصبح حكيمًا لقيرجار مثل الباقيين.

هو لم يكن المختار أو المنشود في الأصل

لا يتذكر اسمه

يقال أن عمه هذا هو أيضًا من لج الماء المحيط ورجع

روي أنه رأى من العجائب في حياته ما لم يراها غيره

لم يكن يصدق تلك الأشياء في عنفوان شبابه وقوته

ولم تكن تلك الأشياء مبتغاه

يقال أن أرض الأجداد الراحلين في نهايته

ويقال أنه سيواجه أعظم الوحوش المخلوقة،

هل ستكون أعظم من البادوغلا الذي قتله مع بريدكار؟

بريدكار.. لقد مات صديقه دفاعًا عن ولده

ولده.. ابن بريدكار بجانبه

لماذا أيها الإله تجري مقاديرك هكذا؟

لماذا لا أفهم؟

لماذا لا توضح لي مشيئة قدرك؟

لماذا أسعى في حياتي ولا أدري ما تصير إليه؟

يقف قبل أن يخطو أول خطواته في ممر الهلاك، يلتفت إلى روكنار:

- لم أنو أن يهلك أحد معي في مصيري، ارجع لو شئت، وارحل إلى مقاطعة الصخريين حيث أعمامك، وعندما أعود سأجعلك تأخذ بثأر أبيك كاملًا.

- لا يا سيدي، لقد كانت أمنيتي أن أكون رفيق ناسناجار المعظم، هذا هو الشرف الذي لا يحظى به الكثيرون، وأما ثأر أبي فسآخذه عندما تعود سالمًا.

– بورك بريدكار، وبورك روكنار، بوركتم أيها الطيبين.

ثم خطا.

بعد عدة خطوات تمثل لهم كائن أمامهم

بانت ملامحه شيئًا فشيئًا حتى اكتملت صورته.

– حكيم النور.

صرخ ناسنا.

– أبي بريدكار.

صرخ روكنار في نفس اللحظة، التفتا إلى بعضهما، نظرا مرة أخرى للكائن الذي ابتسم.

– اسمي هو نينومشا.

تحرك خطوتين تجاههم:

– أنا دليلكم في ساليچيا.

ظلا على صمتهما مندهشين.

– ساليـﭽيا ممر عظيم، يخترق سبعًا من الأودية، حتى يصل إلى منتهاه، وليس كما يعتقد البعض أنه ممر صخري فقط.

منذ اتفاق فيار بن جار، يأتي إلى هنا كل عام أربعة عشر رجلًا منكم، يرجع منهم سبع ليصبحوا حكماء في مواطنهم ويهلك مثلهم.

أتولى أنا نينومشا قيادة الضالين في ساليـﭽيا، حتى يصلوا أو يهلكوا.

أتمثل لكم في صورة أكثر من تعلمتم منه في حياتكم لذا من الطبيعي أن يراني كل منكما في صورة مخالفة.

هل هناك أية أسئلة قبل أن تبدأ رحلتنا؟

– حكيم النور لم يكن هو أكثر من تعلمت منه.

يجيب ناسنا في صرامة.

يبتسم نينومشا:

– دعنا نعرف ذلك خلال رحلتنا أيها الملك المعظم.

يتحركون في صف واحد يتقدمهم نينومشا يليه ناسنا ثم في النهاية روكنار، يضيق عليهم الممر ويتسع لفترة، حتى يصلوا إلى أول الأودية التي يخترقها الممر....

لوكشوريا

- فلتستعدوا لملاقاة أول وحوش ساليچيا.

يخطو ناسنا وروكنار خلف نينومشا ليفاجئا بالمنظر.

- هل ترى مثلي هذا الكم من النساء العرايا، أم أن هذا الوغد يتلاعب بعقلينا مثلما فعل قبلًا.

يسأل ناسنا رفيقه.

- بلى يا سيدي، من الواضح أن ممر الهلاك ليس كما نسمع عنه دومًا.

كان المنظر مبهجًا.. ومخيفًا!

نساء من كافة الأنواع والأشكال، حوريات الأساطير، كل ما تشتهيه أنفس الرجال وشهوتهم.

وسط وادٍ من الخضرة والمياه الرقراقة الجارية.

وجد ناسنا نفسه يُسحب، هذا العملاق الذي قاد الرجال في أحلك أوقات الحروب، يسحب من يديه كالطفل، تتقاتل عليه النساء، وكالطفل أيضًا يجرد من ملابسه لتلامس جسده مئات الجلود الناعمة، تتمسح به لتمنحه بركة التلامس، ولذة الاندماج.

ينظر بطرف عينه ليرى روكنار يستسلم هو أيضًا لفيض النساء الذي لا ينضب، (ياااااه)، لم تحن له الفرصة وهو في سن روكنار ليتمتع هذه المتعة، بل كانت حياة قاسية خاضها وسط العرق والدم، لو اتيحت له فرصة الرجوع لشبابه حين كانت ترتمي تحت قدمه أجمل بنات رينجار ويتركهن ليلهو بالسيف، لاختار المتعة.

يبحث عن نينومشا ذلك المأفون، فيجده ناظرا إليه يبتسم ابتسامة حكيم النور التي كانت دومًا تستثير أعصابه، في أحلك الظروف توجد، لا تفارقه، لم يعلم قط هل أحبه أم احترمه فقط، علاقته بمعلمه الأول ومستشاره فيما بعد غامضة، لم يستطع أحدهما مد جسور المودة أطول، أو قطعها، فاجئه قراره بمصاحبته في رحلته الأخيرة، وهو إن كان ناسناجار المعظم، إلا أنه بداخله فعلًا أراد تلك الصحبة.

عن أي وحوش تكلم ذلك المأفون.

ثم ترك كل أفكاره جانبًا، وحاول فقط أن يتمتع بلحظته الراهنة.

لم يدر كم مر من وقت عليه وهو في هذه الحالة؛ مسلوب الملابس والإرادة بل والعقل، يرشف من رحيق الحياة ما يعيد إليه نضارته، ويعطي الأجساد الملتفة حوله ما يسقي شبقها، ترتوي نبتة الوجود بداخله بماء لا ينضب، ويخصب أجسادًا بورا كادت أن تذوي.

لم يحس بنشوة كتلك قط.

ولا يريد لها أن تنتهي.

حتى عندما جامع محظياته السبع مرة واحدة.

لم تكن اللذة بتلك اللذة!

بين الصحو والنوم يرى خيالات.

تأتي له كومضات ضوء تخلخل ما بقى من سلامه الداخلي.

حتى ظهرت له.

راونا..

حبه القديم الذي ناله قريصبان.

عارية كما ولدتها أمها.

وفي أبهى صورة رآها قط.

ترك كل الشبق الذي يحيياه.

وزحف صوبها على أطرافه.

ككلب ذليل.

تتعلق به عشرات الأجساد الجائعة.

وهو لا يهتم.

كلما اقترب من راونا ابتعدت.

طاردها بقوة أكبر.

وكلما زاد جهده زاد ابتعادها.

وزاد ابتعاد أجساد الحوريات البضة عنه.

لم ييأس..

وضاق الوادي عليه وخلى من حورياته.

حتى انتهى إلى حائط سد.

تقف أمامه في مواجهته ثلاث نساء.

مرتديات أبهى الحلل.

راونا..

نيلامي..

تاملا..

أما راونا فهي ابنة عمه التي خسر زواجها في مسابقة المبارزة.

نيلامي كانت صديقة راونا المقربة، ووصلة اللقاء بينهما.

أما تاملا فهي الملكة فياراجارا ابنة خالة راونا وزوجة أخيها قبل أن تصبح الملكة بزواجها من ناسنا.

ضاق عليه الوادي وضاقت عليه نفسه.

بدأت راونا بالكلام:

- مرحبا بك يا ناسنا، أرجو بأن حفلة الترحيب أعجبتك.

وسط ضحكات خافتة من رفيقتيها.

- راونا، كم أشتاق إليك.

لم يهتم بوجود زوجته التي ظهرت على وجهها علامات الغضب.

- وأنا أيضًا ناسنا أشتاق إليك.

تهللت أساريره وكاد أن يقفز عليها محتضنًا إياه، أوقفه إشارة منها، وكأنها تعلم ما عزم على فعله.

- لماذا يا ناسنا؟

تسأله راونا في هدوء.

- لماذا ماذا؟

- لماذا فعلت ذلك وأضعت ما بيننا؟

- أنا؟!، أنا من أضعت ما بيننا، أبوك الملك هو من فعل، زوجك بهذا اللعين كيدا في، وهل تعتبرين خسارتي في مبارزة وأنا غض صغير إضاعة لما بيننا!

- لا أتكلم عن ذلك ناسنا.

- عما تتكلمين إذن؟

- عن هذا.

وأشارت إلى نيلامي التي تقدمت وهي تخلع حلتها، وتلتحم مع جسد ناسنا القوي في لوحة إبداعية.

لم يستطع ناسنا المقاومة، لم يهتم بوجود راونا وتاملا، سرى مع تيار جسده غير مبال بشيء، هام في سماوات نيلامي، وحلق بين تضاريس جسدها، وعندما حانت منه التفاتة، رأى نظرة الاشمئزاز على راونا، ودموع القهر في عيون تاملا، حينها توقف، توقف قبل أن يفيض نهره فينهي معاناته، فاحتقنت نفسه وضاقت أكثر، تتنازعه الشهوة بين تاملا الملتصقة بجسده، وبين نظرة المرأتين التي تقول الكثير.

- راونا، أنا..

- أنت خنتني يا ناسنا، ضاجعت أكثر صديقاتي قربًا.

- بل هي من أوقعت بي.

- ناسنا الذي كان يكسب جميع معاركه، خسر أمام تلك الهزيلة.

يتذكر جيدًا ما حدث، إن ما فعلاه الآن هو بالضبط ما فعلاه سابقًا، جاءت له برسالة من راونا، ولكنها اقتربت، عطرها أسكره، ولم يفق إلا بعدما قضى منها مأربه، يتذكر جيدًا أنه كرر الفعلة كل مرة كانت تأتي له كمرسال، نيلامي تلك المخادعة، عطرها سحرًا لا يستطيع الفكاك منه.

- راونا...

- لم يعد يجدي الكلام.

- لقد بحثت عنك، ولم أعثر عليك.

- لأني ذهبت بدون رجعة يا ناسنا.

- وهل هناك من عودة؟

- لقد وافقت يا ناسنا.

- وافقتي؟

- نعم لقد وافقت على الزيجة من قريصبان لأرد لك الصفعة.

- ماذا؟ لقد قتلت قريصبان عندما قال لي ذلك، حسبته يكذب!

- هذا لا يهم الآن.

- لقد قتلته من أجلك يا راونا.

- لا تخدع نفسك مجددًا، بل قتلته من أجل نفسك يا ناسنا.

- راونا...

- الوداع يا ناسنا.

تلتفت لتخترق الجدار وتتبعها نيلامي وهي تلم ما تبعثر من ملابسها لتختفيان.

يصطدم ناسنا بالجدار ويطرقه بكلتا يديه وهو لا يعرف كيف اختراقه.

تنزل دموعه البكر التي لم تنزل حين فقدها قبلا، هل لان قلبك أخيرًا يا ناسنا، ذلك القلب الذي قد من صخر، يكمل طرقه حتى تنزف يداه، ثم يسمع الأنين الخافت، يلتفت ليرى دموع زوجته تاملا؛ الملكة فياراجارا، تنزل لتروي الأرض وينبت طفل رضيع.

منظر الطفل ينسيه راونا وصديقتها، يهرع إليها وقبل أن يصل تنبت حول الطفل سبع حيات تلتهمه سريعًا، فيسقط ناسنا على ركبتيه، وتنهمر دموعه مرة أخرى.

ينظر إلى زوجته التي توقفت عن البكاء، يقف ويتحرك نحوها:

- تاملا..

توقفه نظراتها:

- هل لا زلت تتذكر اسمي يا زوجي العزيز.

يصمت دون جواب.

- ياه، لم أسمعه منك قط، لقد نسيته أنا أيضًا، فالجميع يناديني الآن باللقب الموحد للملكات؛ فياراجارا.

لا يدري ما المفترض قوله.

- أترى ما حدث لابنك.

يفزع:

- ماذا حدث؟

- أكلته محظياتك السبع، جارياتك اللاتي ابتدعت وجودهن علينا يا ناسناجار المعظم، لتفرغ شهوتك العظيمة في أرض خصبة غير أرضي البور.

يصمت لفترة طويلة، مقلبًا كل الأحداث التي مرت عليه داخل رأسه.

- لا أعلم إذا كان اعتذاري من الممكن أن يغير مما حدث شيئًا، ولكني سأقدمه إليك دون شك.

لم تجبه، بل استدارت لتختفي في الجدار هي الأخرى وتلحق برفيقتيها.

ينهار على ركبتيه، تنهمر دموعه التي عرفت طريقها في النهاية، بكى وبكى حتى أحس بنضوب جسده من الماء.

عندما توقف وقام والتفت وجد نينومشا ينتظره، نظرة صارمة على وجهه لم يعتدها من حكيم النور

- الآن عرفت يا ناسنا ما فعلت، قابلت أول وحوش الممر، وعرفت أنه يسكن بداخلك.. أنه هو أنت.

يتقدم خطوتين:

- ما مضى لا يمكنك إعادته، ما قادم هو ما يمكنك عدم تكرار خطأك فيه ليس إلا.

يحتضن ذراعي ناسنا بكفيه:

–عندما تعود لا تكرر أخطائك يا ناسنا.

قاوم شهوتك.. تفز.

يسحبه ليرجعا وينقذا روكنار من مصيره، تلتف الأجساد العارية مرة أخرى حول ناسنا الذي يكمل طريقه غير مبال، عندما يوقفاه ويلبسانه ملابسه، تختفي النساء والخضرة والماء الرقراق، تصير أرضا بورا لا يطيق أحد البقاء فيها، يقودهم نينومشا نحو واديهم الثاني.

جولا

كان الوادي الثاني يشبه الغابة العظيمة المتاخمة لحدود رينجار، تلك الغابة التي طفقوا الذهاب إليها في صغرهم لاصطياد البراكي وأكل لحمهم المشوي.

يمتلئ الواد بالبراكي عكس الغابة التي أوشكت على النفاذ منها.

كانت إحدى مباهج ناسنا في الحياة، لحم البراكي الذي يسيل الزبد منه، اللحم الذي يذوب في فمه قبل أن يمضغه حقًا، كان بريدكار دقيق الخلقة بالنسبة إلى ناسنا، وكان خفيف الحركة يبذل الجهد الأكبر في الصيد، وفي النهاية يأكل قطعة أو قطعتين ويترك باقي اللحم لناسنا.

- هذه البراكي لكم أن تأكلوا ما شئتم منها.

- لا تحتاجون للصيد أو الشواء.

- فقط ادع أحدهم وستجده يأتي ليسقط تحت قدمك مشويًا.

يتركهم نينومشا ويتنحى جانبًا.

يظل الاثنان صامتين يفكران.

ثم يتشجع ناسنا:

- تعال.

يشير إلى أحد البراكي، فيتقدم نحوه قبل أن يسقط تحت قدمه مشويًا كما وعده نينومشا.

ينكب عليه يأكل ويأكل، اللذة تتبعها اللذة، ويفعل روكنار مثله.

أخذا يأكلان ويأكلان وكلما أكلا ازداد لديهم الولع باللحم أكثر، أخذ جسديهما في السمنة، قلت البراكي حتى كادت أن تنتهي، ثبت جسديهما على الأرض من كثرة الشحم الذي تراكم في عروقهما.

بعد أن أنهوا قطيع البراكي الشهي، ظهرت جحافل من أبناء جار يضرب الهزال أجسادهم، وهم يتحركون نحوهم في مسيرة بطيئة عرجاء.

حاول ناسنا وروكنار القيام فلم يستطعا، برك جسديهما على الأرض فلم يتزحزحا.

استمرت المسيرة غير عابئة بما يقابلها.

حتى داستهما النعال.

ألف قدم ضربت جسده ووجهه.

حتى أنهكه التعب والمقاومة فاستسلم للركل، جسده فقد شحومه من الأقدام التي داسته فاستطاع القيام بعد أن مروا.

مشوه الخلقة، مكسر العظام.

- هذا ما يقتضيه الحكم يا ناسنا.

إن لم ترع الرعية بحقها داستك أقدامها.

حتى لو امتلأت جنباتك بالشحوم وكادت عظامهم تخرج من الجوع.

فلتحذر يا ناسنا رعيتك الجائعة.

ولا تملأ فمك بالطعام وهم جوعى.

فلتوقف نهمك يا ناسنا، واقض على شراهتك.

وأطعمهم قبل أن تفكر حتى بالطعام.

لا تجعل بطنك هي من تقودك.

هي جزء أنت كل.

ودع التلذذ فإنه مهلكة.

ثم تحرك أمامهم إلى الوادي الثالث

أفاريشيا

في الوادي الثالث لم يكن هناك إلا الخراب والدم.

يقف اثنان من المقاتلين في كامل عتادهما ليستقبلانه.

سونسيراب وبوراي.

هو يعرفهما جيدًا.

إخوته في الحياة والقتال.

– أهلا بإخوتي.

يتقدم فاردًا ذراعيه في اشتياق حقيقي.

فتجابهه سيوفهم التي انطلقت من غمدها.

– قف مكانك يا ناسنا.

يصرخ سونسيراب.

– لو تحركت لقتلت أيها المعظم ناسناجار.

يضيف بوراي.

بوغت ناسنا بفعلهما، هم إخوة في الدم والحياة، ماذا حدث ليقع كل هذا.

يُرجع سونسيراب سيفه بحركة رشيقة إلى غمده ويتقدم:

– لقد هلكت من طمعك في أن يكتب تاريخ رينجار اسمك، وأخذتنا في رحلة الموت في أرض الديجور.

ووراءه بوراي:

– لقد ضحيت بنفسي لأنقذك يا ناسناجار من الساحر.

يصمت ناسنا.

فيضيف بوراي:

– ماذا فعلت لنا بعد موتنا، لولانا لما عرف أحد ناسنا، ولكن طمعك في أن يخلد اسمك فقط لغى وجود ما عداه.

– أنا لم أفعل ذلك، لقد أتيتم معي بكامل رغبتكم.

– وهل لنا أن نرفض طلب ابن الملك أو الملك.

– لقد نلتم الشرف.

– لقد نال منا طمعك.

– لقد متم في سبيل الحق.

– لقد رمانا جشعك في التهلكة.

يقذف إليه بوراي بسيف فيلتقطه ويهجمان عليه، وقف روكنار لا يعرف ماذا يفعل، فبوراي هو عمه شقيق بريدكار، وقد مات في المعركة الأخيرة بيد الساحر.

لو كانت هذه المعركة منذ عشرين عامًا، لانتصر ناسنا عليهما بلا شك، ولكن الذي حدث أن ناسنا بكل ما فعله الزمن وممر الهلاك فيه، يحارب فارسين شديدين أتيا له من زمنهما الغابر بكامل قوتهما، فهزماه!.

ناسنا يسقط أرضا فاقدًا سيفه.

ناسنا الذي لم يخسر نزالًا منذ أصبح رجلًا يسقط.

وبيد أصدقائه.

عندما نزلت دمعته حزنًا لفراقهما تبخر الجسدان.

وسقط السيفان على الأرض.

فعرف ناسنا مقدار جرمه بحقيهما.

قام ماسحًا دمعته.

وغرس السيفان في الأرض.

علامة القدماء على احترام من رحل من الفرسان.

الفعلة التي لم يفعلها في وقتها المناسب.

في الماضي.

لحظة موتهما...

ثم تبع نينومشا في صمت.

أخذوا يتجولون وسط الخراب حتى وجدوا امرأة، ارتمى روكنار تحت قدميها، أمه الجميلة بريدسا التي انتحرت وتركته صغيرًا، ورباه بريدكار دون أن يتزوج ثانية وفاءً لها.

تربت على رأسه ثم ترفعه ليحتضنها.

تنظر إلى ناسنا بنظرة قوية.

يتقدم ليركع هو الأخر تحت قدميها.

- سامحيني يا بريدسا، لقد لعب اليفعوم برأسي.

يقولها وهو يبكي بحرقة.

يترك روكنار حضن والدته وينظر مذهولًا إلى ناسنا.

- ما الذي حدث أيها السيد المعظم؟

لا يجيبه.

- ما الذي حدث يا والدتي؟

- هو السبب في انتحاري، كاد أن ينال ما ليس بحقه، فلم أر بدا من القفز حتى أهرب منه.

لم يصدق روكنار ما سمعه، ناسنا صديق والده الصدوق، الذي يعتبره والده الثاني، الذي مات والده دفاعًا عن زوجته يفعل ذلك.

الملك المعظم الذي تتحاكى باسمه الألسن وضيع يغتصب زوجة صديقه.

يسحب روكنار سيفًا ملقى على الأرض بجانبه ويدعو ناسنا للقتال.

يضع ناسنا رقبته في متناول روكنار.

– أنا معترف يا روكنار بخطأي، فلتقتلني وتنهي عذابي كلما رأيتك أو رأيت بريدكار وهو حزين عندما يتذكرها.

يبكي بصوت مسموع.

– طمعي عذب كل من حولي، كل من أحببتهم تلظوا في نيران جشعي.

«ولكني لم أقصد» رددها بداخله مرارًا وتكرارًا.

هم روكنار بجز عنقه فأوقفته يد والدته.

– لا يا روكنار، لقد اعترف بخطئه، وذلك أول طريق التوبة.

– وماذا عنك وعني وعن بريدكار والدي؟

يصرخ في جزع.

– لكل منا آثامه، ويكفي أنه اعترف.

تنزل دموع روكنار في صمت.

– حتى أنت يا روكنار، طمعك في أن ترافق الملك المعظم هو من أتى بك إلى هنا، هو من أجلى الحقيقة أمام عينك، وإما أن تتحملها وتعش بها، إما أن تقتلك في غياباتها.

يكمل بكائه وينحب، ثم يُسقط السيف ويسقط هو الأخر بجانب ناسنا.

- ما حدث هنا سر لا يعلمه أحد يا روكنار، وهذه آخر كلماتي.

تذوب في الهواء كدخان شمعة محترقة ويختفي كل أثر لها.

يضع ناسنا يديه على كتف روكنار.

- صدقني يا روكا.

كما اعتاد أن يناديه دومًا.

- لقد اعتبرتك ابني دومًا، وما فعلته كان تحت تأثير السُكْر.

ثم بكى الاثنان.

حينما انتهيا، وجدا مرشدهما في الانتظار للذهاب إلى الوادي الرابع.

أسيد تريشيا

نال التعب منهما وأكل من جسديهما ما أكل، كادا يسقطان وهما يواصلان السير.

- من يسقط يبقى أسير آخر وادٍ عبره.

- لا يستطيع التحرر ليواصل التقدم ولا يستطيع التراجع.

- فلتكملا.

يرشدهما نينومشا لما ينتظرهما، فيكملان.

يصلان إلى الوادي الرابع ليجدا أنهما في قيرجارا

العاصمة الخالدة.

لكن صورتها غير ما ألفاها.

مبانيها متهدمة.

وسكانها يلبسون الخرق ويأكلون الجيف.

- ماذا حدث؟

يسأل ناسنا في خوف.

يجيبه أحدهم:

- لقد مل الملك منا، لم يعد يهتم بنا كسابق عهده، تلقانا زبانيته بالعذاب حتى صرنا إلى حالنا هذا.

- ومن ملككم هذا؟

يسأل ناسنا في غضب

يرتاع أحدهم قبل أن يجيبه:

- كيف لا تعرفه، إنه الملك المعظم ناسناجار.

أُسقط في يده.

- لا يجب على الملك أن يمل.

يتكلم نينومشا بلسان حكيم النور

- لا يجب على الملك أن ينظر لرعيته من نافذة غرفته يوم المهرجان الكبير فقط وهم فرحون، بل يجب عليه أن يعيش معيشتهم ليدري بظروفهم وما يحيط بهم.

لا يجب على الملك أن يسأم دخول رعيته عليه، أو أن يعين الحُجَّاب يا ناسنا مثلما فعلت ولم يفعلها أحد قبلك.

حينما يصيب الملكَ المللُ، تصيب رعيته الرزايا.

ولقد سأمت المُلك يا ناسنا،

للمرة التي لا يتذكرها يبكي ناسنا.

عيناه عرفتا طعم الدموع ومن الواضح أنها أعجبتها.

يعبر ناسنا الجموع ليلج قصره بداخل القلعة.

فيجد زهرة كبيرة ذابلة.

يلمسها فتتساقط متكسرة الأوراق.

وظهرت من تحتها زوجته فاقدة للحياة.

يحتضنها في حرقة ويبكي حتى تنبت دموعه الحياة فيها مرة أخرى.

تنظر إليه بوهن ثم تشيح بوجهها.

- لقد سأمت يا ناسنا زوجتك، تلك الزهرة اليانعة حتى تكسرت أعوادها.

صوت حكيم النور يجلجل في الآفاق.

- ومن يمل زوجته ويخونها مع محظياته، يفتح لها هي أيضًا الطريق للخيانة)

على الزوجة ذنب، وعلى الزوج ذنبان.

لقد مللت يا ناسنا وهذا أول طريق الخيانة.

يتركها ناسنا ويستمر في البكاء حتى تنمو الزهرة مرة أخرى وتغلف جسد زوجته.

يتحرك نحو قاعة الحكم ليجد فتىً مشوها يجلس على عرشه، ابنه لقد عرفه حتى لو اختفت معالم وجهه، ولم يراه مسبقًا.

معالم الحزن تكسو جسده.

– لقد يأست من مجيئي يا أبي.

يبادره بالكلام.

– لقد يأست وتركت كل شيء وهربت، في اللحظة التي كنت أحتاجك فيها حقًا.

سقط ناسنا وسبقته دموعه.

فيضيف نينومشا بصوت حكيم النور:

– لقد يأست يا ناسنا.

يأست من الرحمة والأمل.

يأست من الإله.

وأخذت أول خطوة في طريقك إلى الهلاك.

وها أنت تعبر ممره.

فلنكمل مسيرنا أيها الملك المعظم.

يتساند ناسنا على روكنار ويتبع نينومشا.

إيّرا

تلفحه رياح ساخنة تكاد تحرق جلده عندما دخل الوادي التالي.

السماء تتلون بلون أحمر، وتهب أتربة صفراء تمنع الرؤية وتكتم الأنفاس.

هذا هو الهلاك بعينه.

يظهر نور ساطع في وسط الجو الملبد.

ازداد رويدًا رويدًا حتى قارب ضعف حجم ناسنا.

وبدأ يتجسد في أشكال مختلفة ويتبادل بينها.

نور ساطع–زوجته–بريدكار–حكيم النور–قريصبان –عمه– وكثير ممن عاصروه وعاشروه.

ثم انفجر الضوء فجأة ليحدث إعصار يأخذ ناسنا بين جنباته ضاغطًا جسده حتى كاد أن يَنفق.

بعد مدة لا يعلمها سقط، منهك القوى مجروح الجسد ذاهب العقل.

– هذا هو وادي الغضب.

دأب الجميع على النصح يا ناسنا ولم تلتفت.

هذا الإعصار الذي ضغط جانبيك هو ما أحس به كل من جلست عليه بجسدك الضخم.

لا تغضب يا ناسنا.

فالغضب هو الطريق الميسر لتغييب العقل.

وتغييب العقل هو مفتاح الظلم)

الغضب هو من جعلك تقتل قريصبان بلا وجه حق.

وهو الذي لم يقل لك سوى الحقيقة.

أن راونا وافقت.

الغضب هو من جعلك تذل جرينبان وابنه أمام الجموع.

الغضب هو من جعلك تعيد مسابقة المبارزة فينتهي بك الطريق هنا.

الغضب هو الذي هيئ لك أنك تستطيع تحدي الإله.

الغضب هو الخطيئة الوحيدة التي لا يكسب من ورائها صاحبها شيئًا.

بل يخسر ويخسر ويخسر.

حتى تقضي عليه بعدما تقضي على كل شيء يحيط به.

لا تغضب يا ناسنا.

يدب صوت حكيم النور في رأسه كمطارق تهد حائط صلب، وكطبول تعلن انتصار العدو.

إنفيديا

يلج الوادي التالي ليجد كل ما يمتلكه ويحبه محطمًا على الأرض.

حاول أن يلم شتات نفسه المبعثرة فلم يستطع.

ثم يجد ثلاثتهم واقفين منتظرينه في تحفز.

بريدكار، جرينبان، وبهان..

يذهب إليهم جريا.

– لقد اعتذرت لوالدك يا بهان ولكنك كنت نائمًا.

يوجه كلامه إلي بهان الصغير الذي يشيح بوجهه عنه.

– قل له يا جرينبان بأنني فعلت ذلك.

فلا يرد عليه.

– ألم تشهد على ذلك يا بريدكار؟

– لقد همست بها في إذنك يا سيدي.

يجيبه بريدكار.

– ماذا؟

يتعجب ناسنا.

– لقد همس بها في إذنك يا ناسنا.

قال لك إن ابنه معه فلا تنتقص من قدره أمامه. قال لك أنه أنقذك قبلاً ولم يفش سرك فانقذه أنت اليوم.

نصحك كصديق قبل أن يكون ساعدك.

ولكن الحسد أعمى قلبك قبل أن يعمي عينيك.

كيف لجرينبا الوضيع أن يلد ويخلد اسمه عبر أبنائه.

ويموت ذكرك أنت ناسنا المعظم.

كيف لجرينبا الوضيع أن يلهو مع نسل من صلبه.

وتعيش أنت بين أحضان محظياتك بلا شغف.

مع أنك لو فكرت قليلًا لعرفت بأن اسم جرينبان سيختفي بعد عدة سنوات.

وسيبقى اسم ناسناجار بما فعله تتناقله الأجيال. لقد حسدته يا ناسنا.

والحسد ينخر جسد صاحبه كسوس البيرفاق في شجر الشومفادا.

الحسد هو الحزن لفرح الآخرين.

لقد ارتكبت في حقهم ما لا يمكن نسيانه يا ناسنا. من داخلك قبل أن يكون من داخلهم.

يركع على ركبتيه

- لقد أنقذني والدك يا بهان، أنقذني ولولاه لما أصبحت ملكًا ولا عاش شعبنا في رخاء، ورغم ذلك أنكرته، جحدت فضله على الملأ، وحين اعتذرت، فعلتها في الخفاء حتى لا يراني أحد ضعيفًا.

يوجه كلامه إلى بهان فلا ينظر إليه.

- لقد أذللتك أمام الجميع يا جرينبان، ولكني لم أعد أستطيع التحكم في انفعالاتي، اعتذرت لك، ولكني سأعود وأعتذر أمام الجميع صدقني.

لا يرد عليه.

- أنت أخي وأقرب أصدقائي، خنتك في زوجتك، وخنت نصائحك، ما زلت أتذكر لحم البراكي التي كنت تتركه لي عن طيب خاطر، وعرفت أنك فديت زوجتي وابني بروحك، روكنار سيأخذ مكانك، ويكون لابني مثلما كنت وسأكون له، أنا أحبك يا بريدكار، لم أقولها قبلًا، وأقولها الآن، وسأقولها دومًا، فلتسامحني على كل ما ارتكبته بحقك.

تخضل لحيته الدموع

وكما العادة تبخر الجمع وعاونه نينومشا وروكنار على القيام لإنهاء رحلته.

سوبيريبا

كان الوادي الأخير فارغًا، مساحة ساشعة من الفراغ البكر الأولي، هنا يبدأ البناء الذي تريده، لتشكل عالمك.

رأى حكيم النور وهو يستقبل طفلًا رضيعًا إلى الحياة، الطفل هو ناسنا.

الذي شب على تعاليم حكيم النور، أولى اللبنات التي غرست بداخله كان هو مصدرها.

مشاهد حياته كاملة مرت أمام عينه الطفل-الفتى-الشاب-الرجل-الملك.

بكل تفصيلاتها.

هو هنا فقط يشاهد.

يرى ملامح كل من حوله.

الغمزات والهمزات.

يرى وجه من يعطيه ظهره كيف تحول.

عرف بأن الأمر لم يكن أبدًا كما أيقنه.

تفكير حكيم النور لمصلحته.

تألم زوجته من معاملته.

قسوة قراراته على قلب بريدكار.

ذل جرينبان وهو يعطي وجهه للأرض.

رأى حياته بعين المتابع.

وعرف ما فعله حقًا.

ثم اختفت فجأة كما ظهرت فجأة..

وأتى من بعيد اثنان.

حكيم النور والملك المعظم ناسناجار.

يقفان أمامه ولا يعرفانه.

- من أنت يا بني؟

يسأله حكيم النور في شفقة.

– من قيرجار يا أبت.

يجيبه ناسنا في ود وهو ينظر إلى نفسه؛ الملك المعظم ناسناجار، الذي ينظر إليه في اشمئزاز واضح

– وما فعل بك ذلك؟

يكمل حكيم النور.

– الزمن يا أبت.

يجيب ناسنا.

– نعم المعلم هو.

يتمم حكيم النور.

– لو تعلمنا.

يضيف ناسنا.

تتسع ابتسامة حكيم النور:

– أنا من يبعث بأبناء جار إلى ممر الهلاك، لولا أني أعرفهم جيدًا لقلت بأنك ستكون حكيم النور القادم.

– حكيم نور أم حكيم مشردين بخلقته هذه.

تكلم الملك ناسناجار.

ينظر إليه ناسنا في قوة:

– الملك المعظم لا يرى شيئًا أبعد مما تراه عيناه.

يثور الملك المعظم ويسحب سيفه ليجز عنق ناسنا، يحاول حكيم النور تهدئته فلا ينجح.

– هل ستقتل مشردًا أعزلًا أيها الملك المعظم؟

لا يمزح ناسنا وهو يواجهه.

– أنت مشرد، سواء حملت حكمة أو سيفًا أو لم تحمل شيئًا!

يستهزئ به الملك.

– وماذا؟

يسأله ناسنا .

– وماذا ماذا؟!، هل جننت أتجرؤ على قتالي، ألا تعلم حقًا من أنا وقد قلت أنك من فيرجار!

يجيب الملك في غضب.

- ثم ماذا؟، أيهرب الملك من قتالي.

يبتسم ناسنا.

- أيها الغبي!، فلتلاقي حتفك.

يصرخ الملك في غضب، ويقذف إليه بسيف ليتواجها.

يهجم عليه فيتفاداه ناسنا، ثم ينزل أرضًا ليوجه ضربة قوية لركبته اليسرى، حيث موضع إصابة قديمة يعرفها جيدًا.

فيترنح الملك ويسقط، ليعاجله ناسنا بضربة بمقبض السيف على خوذته فتسقط ويسقط سيفه من يده من الألم.

لم تأخذ المعركة وقتًا.

- قلت لك مرارًا، أننا نقاتل بعقلنا لا بقوتنا.

وقف الاثنان ناسنا وحكيم النور ليقولاها معًا للملك المهزوم.

- قلت لك مرارًا، لا تهون من خصمك أبدًا حتى لو كان يربوعا ممن تقتله الصبية.

يكرر ناسنا كلام حكيم النور الذي يحفظه عن ظهر قلب معه.

- قلت لك مرارًا ألا تحكم على شيء إلا حكمًا حقيقيًا بعد أن تراه حقًا.

يبكي ناسنا وهو يكرر كلمات حكيم النور التي ألقاها إليه وهو صغير ويلقيها الآن إلى الملك الملقى أرضًا.

- قلت لك مرارًا ألا تغتر بقوتك، فهناك دومًا من يستطيع هزيمتك.

قلت لك مرارًا ألا تزهو بعنفوانك، فزهرة الأراكشي مسيرها دومًا إلى الفناء.

قلت لك مرارًا ألا تتكبر، ولا تحمل في قلبك ضغينة فيصبح هش سهل الكسر.

قلت لك مرارًا ألا تتغرطس على من دونك، فسوف يعلمك كل من يقابلك درسًا، ولك الحرية أن تتعلمه بالطريقة السهلة؛ النصيحة، أو تأخذ طريقك الصعب للتعلم؛ الهزيمة.

قلت لك مرارًا ولكنك لا تتعلم أيها الملك المعظم.

وصل بكاء ناسنا للنحيب بصوت عال، وتبخر ناسناجار وحكيم النور، معلمه الأول والأكبر الذي جحده دومًا واعتبره أدنى منه منزلة.

– هل كان يتوجب عليك قتال نفسك لتعلم يا ناسنا؟

يسأله نينومشا.

فجأة انقلب النهار ليل، وضربت الصواعق السماء من فوقه، وهبت رياح الحرب.

رأى المشهد الأخير الذي يحفظه عن ظهر قلب.

رآه من عين المشاهد هذه المرة.

ملقى ناسناجار على الأرض غير قادر على الحركة، سيفه يبعد عنه كثيرًا، والظل السادس من الساحر الأعظم يضحك في وحشية وهو يقترب رافعًا رمحه الثنائي الرأس ذا القضيب الأسود المخيف.

يقبع بجانبه بوراي تفتقد عينه لمعة الحياة، بريدكار يريد أن يصل إلى سيفه لكن إصابة قدمه بليغه فلا تعينه على الحركة.

چينيچنا صخرة تقيد حركته، باقي رفاقه بين قتلى وجرحى.

الساحر في طريقه لإنهاء نسل جار وإحكام سيطرته على جميع الأرض مرة أخرى.

يرى الآن المشهد الذي فاته ساعتها.

ظلان صغيران لا يكادا أن يريا.

يتسللان خلف الساحر؛ جرينبا وساريبا.

يصيبهما الخوف فيرتد ساريبا محاولًا أن يسحب جرينبا معه فلا يفلح.

يتقدم جرينبا وحده بعد أن تغلب على مخاوفه.

صغير الجسم دقيقه.

فيحمل سيف ناسناجار الذي يكاد يبلغ طوله.

يرفعه بكل ما أوتي من قوة.

ضرب الصواعق وضحكات الساحر تخفي صوت حركته وجلجلة السيف.

يرفع الساحر حربته ليقضي على هدفه.

لا يغمض ناسناجار عينه.

وفجأة يعم الصمت..

تتوقف الصواعق.

تجحظ عينا الساحر.

ويكمل سيف ناسنا اختراقه لأحشاء الساحر ليخرج من أسفل بطنه.

أعلى نقطة استطاع الوصول إليها جرينبا الصغير.

- القلب يا جرينبا لنقضي عليه تمامًا.

كانت هذه من بريدكار الذي انتزع نفسه من المفاجأة أولًا..

لكن جرينبا لم يكن معهم.

لأول مرة يقتل في حياته؟!

وقتل من؟!

الساحر الذي كاد أن يقضي على عالمه الذي يعرفه بأجمعه.

حين استرد البعض قوتهم كان الظل الأخير تسرب من خلال قارض صغير هرب مرة أخرى إلى أرض الديجور.

اختفى كل شيء فجأة كما بدأ فجأة.

ورجع الفراغ البكر الأولي.

وضع نينومشا يده على كتف ناسنا الذي توقف بكاءه وهو راكع على ركبتيه.

– في هذه اللحظة قد كان أولى لك أن تترك كل شيء وراءك.

فخرك، زهوك، كبرك، غطرستك.

أما ما حدث فهو العكس.

وقد حق عليك أن تعبر ممر هلاكك لترجع لرشدك.

فهل رجعت؟.

– الآن قد علمت.

يقولها ناسنا وهو يقف منتصبًا

– والآن قد وصلت.

يشير نينومشا إلى نهاية الممر الذي ينتهي إلى ربوة عالية يقف عليها رجل عجوز جدًا، تصل لحيته البيضاء

إلى قدميه، وشعره منسدل إلى ركبتيه، ويمسك بيده عصا منتصبة إلى جانبه.

– وقد انتهى دوري أنا أيضًا، رافقتكم في رجوعكم السلامة.

ثم تبخر نينومشا.

العودة

(١)

- أهلا بناسنا المعظم ابن جار المعظم.

يبادره العجوز عند وصولهم.

- أنا بريدبا بن برينكا آخر الحكماء.

تتملك الرفيقين الدهشة.

كانا يعتقدان أنه من الأساطير.

ذلك الرجل الذي دفن أبيهم الأول والذي بالقطع يوجد من قبله.

الذي يتتلمذ على يده حكماء المقاطعات.

– آخر الحكماء وحارس أرض الأجداد.

يضيف في حزم.

– أنا ناسنا بن برجار، نسل جار المعظم، حاكم أرض النور والديجور، وهذا روكنار بن بريدكار، النائب الأول لي وقائد الجيوش.

يجيبه ناسنا بما تبقى لديه من قوة.

يضحك بريدبا:

– بعد كل تلك المهالك ولم تتعلم بعد يا ابن جار.

سقط ناسنا على الأرض من كثرة الإرهاق.

– أريد أن أنام، كم أخذنا من وقت في عبور هذا الممر؟

يسأل ناسنا.

يجيبه روكنار:

– أعتقد بأننا عبرناه في سبعة أيام.

فيعقب:

– اه، كما قال همريز العراف.

يبتسم بريدبا بلا تعقيب.

يشير إلى ركن ليناما فيه.

بعدما استيقظوا وجدوا أكلا شهيا فأكلوا حتى شبعوا.

ثم قاما ليتجولا في الأرض التي لم يطأها من هم مثلهما قبلا.

كانت الربوة عالية.

خلفها يقبع الممر نازلًا حتى ينتهي بالصحراء المتاخمة لقيرجار.

يعد ناسنا سبعة أودية فقراء يراها صغيرة وضيقة يعبرها الممر.

هل هذا الممر مسحور؟

أما الربوة فخضراء تشبه جنان سراجويتنا موطن المائيين، رحبة وفيها من الخيرات ما لا يعد ولا يحصى.

تجولا ردحًا من الزمن دون أن يريا ظلًا لآخر الحكماء حتى.

ثم انتهى بهما الأمر إلى جرف تقبع تحته جنة أشد خضرة ونعيمًا وأكبر اتساعًا.

ووجدا من أبناء جار عددًا لا يعد ولا يحصى.

بل وجدا من السحرة وذوي الأجنحة والعمالقة وباقي ساكني أرض الديجور، وكائنات لا يعرفاها ولم يرياها من قبل.

– لقد نمتم طويلًا، سبعة أيام كاملة.

صوت بريدبا ينتشلهم من ذهولهم، ليدخلهم في دهشة أكبر.

– ما هذه الأرض يا آخر الحكماء.

يسأله روكنار الذي لم يتخلص من انبهاره بعد.

– هذه هي دنسولا، جنتكم الموعودة.

يجيبه بريدبا.

يستمر ناسنا في صمته.

– ممر الهلاك الذي عبرتموه هو ممر الخلاص لمن يرحل من عالمكم وقُدر له أن يحيا ثانية.

يضيف بريدبا.

– وله أن يتخلص من كل ذنب حتى يصل.

– ومن لم يتخلص؟

يكمل روكنار أسئلته.

- يتيه في ممر الهلاك، هناك من يتيهون للأبد، وهناك من يكملون الرحلة في النهاية.

يحسم بريدبا الأمر.

يتجمع الكثيرون ممن يسكنون دنسولا في اتجاه الثلاثة على الربوة، يتضاحكون ويشيرون ناحية ناسنا بحب.

- من هؤلاء؟

يسأل ناسنا.

- أجدادك، أضخمهم هو جار، ألا تلاحظ الشبه بينكما، والباقي نسله الذي ينتهي بك.

- وأين أبي لا أراه.

- الملك برجار لا يزال في ممر الهلاك يصارع ذنبه.

يلتفت ناسنا لا شعوريًا نحو الممر فيراه على حالته ضيق مظلم نسبيًا ومقفر.

يصمت متفكرًا لفترة.

- ولماذا يشيرون باتجاهي؟

- إنهم يدعونك.

- يدعونني!

يقطب ناسنا حاجبيه.

- لقد عبرت ممر الهلاك حيا يا ناسنا، ولك أن ترحل لدنسولا حيث لا ألم أو ملل أو صراع، حيث الجمال والراحة والسكينة.

- أرحل ولا أعود؟.

- ترحل بلا رجعة.

- وهل لو عدت لقيرجار سأعبر ممر الهلاك وأنا عائد؟.

- لو قدر لك الإله أن تحيا ثانية لن تعبره مجددًا، يكفيك مرة.

يغلفهم الصمت لمدة طويلة.

- ما رأيك يا روكنار؟

يسأل ناسنا.

– لقد مررنا بكل ما مررنا به لنرجع ونأخذ ثأر بريدكار!، وإني لا زلت شابًا وأريد أن أحيا قليلًا من الوقت أصارع وأقاتل، أما لو أراد مولاي المكوث فلا أحد يستطيع أن يرده.

ثم يستدير لبريدبا:

– وهل أبي لا يزال في ممر الهلاك؟

– لا أبوك موجود أنظر إلى جانب الشجرة الحمراء.

ينظر روكنار ليرى والده يأكل الكثير من لحم البراكي دون أن يزيد وزنه شيئًا.

– كم أحبه دومًا.

بكى روكنار.

نظر إليه ناسنا في ضعف وبكى هو الأخر، لقد ترك له بريدكار دومًا لحم البراكي، فما كان من ناسنا إلا أن نهش لحمه هو.

– سنعود.

كان القرار من ناسنا حاسمًا.

يستديران ليرحلا.

- ناسنا..روكنار.

ينادي عليهما بريدبا.

يستديران، فيتقدم ناحيتهما ببطء.

- لقد خضتم ما خاضه الكثير من حكماء أبناء جار، فإن عدتم فالتزموا بما تعلمتموه، وليكن ممر الهلاك هو نبراسكم في أرض النور لو غابت نيبرا، وتذكروا أن اعترافكما بالذنب هو من أنقذكما، وأن رجوعكما الآن مؤثرين على أنفسكما الأخرين هو من أتم عبوركم ممر الهلاك.

تظهر على وجهيهما آثار التفكير.

- نستودعك يا بريدبا، يا آخر الحكماء.

يلقي بها ناسنا في وجل، فيهز بريدبا رأسه في ود.

يستديران ليبتعدا وهما يمشيان الهويني، فيصرح لهما بريدبا:

- أمر أخير.

يتوقفا ليسمعاه دون أن يلتفتا:

– ممر الهلاك خارج حدود كل شيء، لقد قضيتم في عبوره سبعًا.

توقف لبرهة:

– سبعة من السنين وليس سبعة أيام أيها الأغبياء.

ينظران لبعضهما البعض ويسابقان الريح في عودتهم خلال الممر.

– كديدنهم، لا يتعلم أبناء جار شيئًا البتة.

يتمتم بريدبا بأسى.

عندما وصلا إلى نهايته، وجدا ثلاثة هياكل عظمية لأحصنتهم، مما يعني أنهم سيقطعون الطريق مشيًا إلى قيرجار، ووجدوا السيوف التي تركاها.

حينما التفت ناسنا نحو الممر قبل أن يغيب عن ناظريه، خيل له أن بريدبا ويقف جانبه نينومشا بهيئته وكأنه شاب جميل.

يلوحان له ويبتسمان.

(٣)

يستيقظ جرينبان مبكرًا، مع بزوغ أول أشجار الوقت التي تقبع في الأفق، يسير الماشية، ويصلح ما تبقى من أرضه بعدما أخذ معظمها جنود الملك ظلمًا.

وحدها قلادة جار حمته مرة أخرى.

سبع سنوات مرت منذ أن اختفى الملك ناسناجار المعظم، وقتل نائب الملك الجديد شتاو قائد الجيوش الأسبق بريدكار، وما تبعها من تبعات.

كان لا يزال في العاصمة عند صديقه ساريبا عندما رأى نيبرا تنطفأ مع تتويج الملك الجديد، أراد أن يكذب عينيه وولده، بعدما تلت الحوادث تباعًا، عرف أنه كان على حق.

بعد عدة أيام عاد مع ولديه للبيت تستقبلهم زوجته الأثيرة جيلكا، ثم سمع الصياح والقتال الذي حدث في العاصمة، بعدها بقليل أتى له روكنار بن بريدكار، بالملكة السابقة فياراجارا، وتركها أمانة عنده، الملكة زوجة ناسناجار الملك المعظم الذي أذل ناصيته علانية على مرأى الجميع، واعتذر له خلسة قبل أن يختفي ولا أحد يعرف أين هو.

رحب هو وزوجته بها، ورفض بهان على الرغم من صغر سنه هذا الترحيب، ولم يصدق ما حكاه أبوه بأن ناسناجار أتى للاعتذار.

بعد سبعة أشهر ولدت الملكة ولدًا مكتمل الخلق مثل أبيه، وفرح الجميع به، تربى كأخ لتيرنا وبهان، وأحاط جرينبان الجميع برعايته.

مرت السنوات تباعًا، وازداد ظلم الملك وأعوانه، أخذ نصف أرض جرينبان، وخفت ضوء نيبرا حتى كاد العالم أن يظلم.

تشكى البعض فقتلهم الملك، قامت الثورات وأخمدت بجيوش الملك، وقتل خلق كثير كان منهم چينيچنا الذي قاد

جيشا ليحرر فيرجار، قُلد السحرة المناصب، كان الجميع ينتظر ناسناجار الذي آمن البعض بأنه لن يعود.

انتشر خبر في المدينة بأن لناسنا ولد، وأنه وريث أبيه الشرعي، مما جن جنون الملك، فأرسل ليأتي بالملكة السابقة وابنها، وتبعا لنصيحة من سبار الذي خان عهد الصداقة واستمر في خدمة الملك الجديد، أشاع أعوان الملك بأن هذا الولد ابن زنا للملكة، وأن ناسناجار كان عقيمًا لا يلد.

دخل الجنود البيوت وانتهكوا حرماتها، واغتصبوا وقتلوا كثيرا من النساء أثناء بحثهم، وكان منهن جيلكا وابنتها، حين ذهبتا بمفردهما إلى المدينة ليتسوقا.

ثار بهان على والده ورحل لبعض الوقت قبل أن يرجع ثانية، متهما ناسناجار وزوجته وولده بأنهم أساس البلاء الذي أحاط بهم.

عندما وصل الجنود لمزرعة جرينبان، أدعى كذبًا بأن الملكة زوجته، وكادوا يقتلونه ويغتصبونها لولا قلادة جار التي أشهرها في وجههم، فلقيت المهابة المطلوبة لقواها السحرية المخيفة.

أشياء كثيرة مرت وكادت تقضي عليه وهو صامد لا يعلم ماذا ينتظر.

أما هذا اليوم فأحس بشيء مختلف حينما أفاق، حينما سرح بغنمه، وحينما نزل ليجد عشبا ضارا ورفع رأسه فوجد اثنان يظهر عليهما آثار السفر.

– أهلا بكما، من أي أرض طيبة أتيتما.

يسألهما في توجس، فبعد انتشار الظلم، لم يعد أحد يأمن الأغراب، معظمهم من النازحون من الجوع أو الظلم، وأغلبهم يتحول إلى أشقياء.

عدم ردهما أخافه أكثر، كانا متجهمين مما رأوه من آثار الظلم الذي استشرى في البلاد في مشوارهما الطويل من ممر الهلاك.

أكثر ما تعجب له ناسنا بأن جرينبان لم يعرفه.

خرجت الملكة في زي زوجته البسيط تحمل قليلا من الأكل لجرينبان، ويجري أمامها ابنها الذي يكاد يبلغ السابعة.

خاف جرينبان عليها منهما، أشار إليها بالدخول فلم تلحظ.

– من هذه؟

يسأله ناسنا بصوت أرهقته السنون.

– زوجتي.

يبتلع جرينبان لعابه بصعوبة.

– زوجتك!

يصرخ ناسنا في غضب أسمعهما؛ زوجته وابنه.

عندما رأته عرفته، سقطت منها حزمة الطعام وانطلقت ناحيته وسط دهشة جرينبان.

ارتمت بين ذراعيه وظلت تبكي حينا.

– توحشتني يا تاملا.

ازداد بكائها حين سمعت اسمها مجردًا من فمه، ذلك الاسم الذي لم يناديها به قط حتى ظنت أنه نسيه.

– تقدم يا ميتي، هذا هو والدك.

تخبر الملكة ابنها، لا يتحرك، هو لم يعرف إلا جرينبان أبا..

– هل علمته الصيد والقنص يا جرينبان؟

يسأله ناسنا.

– أنت تعرف يا سيدي أنني لا أعرف إلا الزراعة وخدمة الأسياد.

يجيبه في وجل وخوف.

يصمت ناسنا لوهلة ثم ينفجر في الضحك.

– هلم يا جرينبا الصغير، لقد كنت دومًا المفضل لدي.

يفتح ذراعيه ليحتضنه وسط فرحة الباقين.

ترك جرينبان ليقترب من ابنه:

– ما اسمك؟

– ميتي.

– أتعرف من أنا؟

فيهز رأسه بأنه لا.

– أتحب الخيل؟

يهز رأسه بنعم.

– أتحب السيف؟

يهز رأسه مرة أخرى بشغف أكبر.

- أتحب اللعب؟

يبتسم ويهز رأسه بقوة أكبر.

يرفعه فجأة فيضحك، يضعه فوق أكتافه، ويلف به دائريًا ببطء، يشير له لكل المعالم الواضحة من قصور، وجبال، ومقاطعات

- أرأيت كل ذلك يا ميتي؟، سنتعلم سويًا كيف نحافظ عليه بحقه.

تضحك الملكة وجرينبان، لقد تغير الملك حقًا.

وسط وقفتهم أتى بهان الذي أصبح رجلًا، في مثل سنه غزا ناسنا ورفاقه أرض الديجور وحدهم، عندما رآهم لم يفهم ما يدور، قذف بما يحمله واستل سيفه ليواجههم، سحب روكنار هو الأخر سيفه واستعد للمواجهة، أشار إليه ناسنا بالهدوء.

تقدم منزلا ميتي من على كتفه ليعطيه لأمه، وصل لموقع بهان ثم انحنى تحته:

- أنا أعتذر منك يا بهان، حتى الاعتذار الذي قدمته لأبيك خلسة لم أكن صافي القلب وقتها، أما الآن فأقدم لك رقبتي أنا ناسنا بن بر، سليل جار المعظم، إن كنت تريد الانتقام فرقبتي لك، وإن كنت تريد الاعتذار علانية بعد عودتي للقصر فهو لك أيضًا، فلتختر يا بهان بن جرينبان.

يتلجلج بهان، هو لم يتخيل عمره أن يصير إلى مثل هذا الموقف، يرى نظرة أبيه التي تشجعه على الصفح، وابتسامة الملكة التي لم يعاملها إلا بغلظة، ضحكة ميتي الذي يعتبره أخاه حقًا، وقلق يد روكنار على مقبض سيفه.

ينزل سيفه في بطء:

- لك الصفح أيها الملك، لم يعد الانتقام ذا مغزى، ولم يعد الاعتذار مجديًا.

يبكي ناسنا في حرقة.

لم يتخيل أحد أن يرى الملك المعظم ناسناجار في مثل ذلك الموقف من قبل.

يقف وهو يمسح دموعه.

– أنا أعتذر لكم جميعًا، أعتذر لكل فعل اتخذته من منطلق كبر فأودى بنا جميعًا إلى هنا، أعتذر لموتانا الذين لولا غبائي وصلفي لكانوا حولنا الآن، أعتذر للرعية التي مللت الاهتمام بها، وللأرض التي سمحت للظلم والظالمين بأن يحكموها، لبهان الذي قتلت بداخله كل احترام لأبيه أو أي حب لي، لابني الذي تربى يتيمًا ولا يعرف أن له أبا، ولكل شخص تعلق قدره بقرارتي الغبية، أعتذر منكم جميعًا!!

بكى جميعهم عدا ناسنا الذي أصبح همه رجوع الأمن إلى أرضه التي قدر له أن يملكها.

(٣)

ناسناجار عاد.

الكلمة الضعيفة التي انتشرت في الآفاق بسرعة الفندار الطائر.

كلمة جعلت الجميع يسنون سيوفهم.

وفي خلال بضعة أيام تجمع الحشد خارج قصر المُلك بقيرجار.

حين وقف الملك ومعه نائبه شتاو وبضع أفراد في مواجهة الجميع.

الغريب أنهم لم يكونوا خائفين.

أوقف ناسنا جيشه بيده، وتقدم وحده خطوتين:

- أنا ناسناجار بن برجار، أطالبك يا أيندجار بن برجار بأن ترجع لي ملكي، وتسلم نفسك لأمرتي لأحكم عليك جراء ما فعلته برينجار، ولتدع الإله أن يجعلني رحيمًا بك.

جابهه أخوه بضحك متصل زاد من دهشته.

- أتخيفني يا ناسنا بجيش من أبناء جار، هل اعتقدت يومًا بأنكم أقوى المخلوقات، ألا تعلم حقيقة ماهيتكم؟

يقولها في استهزاء.

ينظر الجميع حولهم، تطاير ذوي الأجنحة من حولهم، وتحولت الصخور المحيطة بهم إلى جيش من الصخريين الحقيقيين، وظهرت جحافل من السحرة من القصر ورائهم، سيهلك الكثيرون قبل أن يصبح هناك ملك واحد فقط منهما.

يفكر ناسنا سريعًا:

- هل ستخون بني جنسك لصالح أبناء أرض الديجور.

تزداد الضحكات الساخرة:

- ألا تعلم أن في دمائي نسبة مجهولة النسب؟، ألم تشعرني دومًا بدونيتي عنك يا صاحب الدم النقي؟، ألم يخبرني صاحبك بريدكار بأن دمائي ملعونة قبل أن أقتله؟، ألم تعرفوا بعد من أين أتت دمائي؟، إنها من السحرة أيها الأغبياء!

ثم ينفجر ضحكا مرة أخرى.

ينزل ناسنا من على فرسه، يرتقي درجتين في سلم القصر، يسحب سيفه موجها إياه ناحية أيندجار:

- إذن هلم نفعلها بالطريقة القديمة، ونحقن دماء الجميع.

ظهر الهلع على وجه أيندجار في حين أخذ نائبه شتاو بالضحك:

- تغيرت كثيرًا يا ناسنا عن آخر مرة رأيتك فيها.

يقولها وتقفز من عينيه نظرات الكراهية.

ينظر له ناسنا مليا:

- وهل رأيتك قبل ضعا أيها الناعم؟

- الأعين يا ناسنا، الأعين لا تكذب، إنها تخبرك بكل شيء.

يضيف في قسوة.

ينظر في عينيه بتركيز، يرى المعركة الأخيرة، الصواعق، أصدقائه، الرمح، جرينبان، والفرار.

إنه الظل الأخير للساحر السابع.

- هل رأيت يا ناسنا؟

يسأله بجدية.

- رأيت.

يجيب ناسنا في اقتضاب.

يتحول شتاو لخلقته الحقيقية، جلد أسود ذو حمرة، ويلتحف ما يغطي رأسه بجسده، يشهق الجميع من هول المفاجأة.

- هلم ننهي ما بدأنها سابقًا يا ابن جار.

يقولها بوحشية تتناسب مع هيئته.

يبتسم ناسنا في طمأنينة لا تتناسب مع الموقف:

– هل تعلم من قابلت في نهاية رحلتي بممر الهلاك أيها الساحر؟

– من قابلت أيها المأفون؟

يبتسم في سخرية.

– قابلت بريدبا بن برينكا آخر الحكماء.

يشهق الجميع مرة أخرى في حين يضحك الساحر ملء شدقيه.

يسأله الساحر في جدية:

– وهل وصلت لأرض الأجداد أيها الشقي،

ثم ينفجر بالضحك يليه أتباعه.

يتجاهل ناسنا سخريته ويسأله هو الآخر في جدية:

– وهل تعلم نبوءة بريدبا أيها الساحر؟

يصمت الجميع فجأة.

يكمل ناسنا:

– حين اعتقدنا بعدم وجود بريدبا، نسينا نبوءته التي كانت تحكيها لنا الجدات صغارًا.

يلتف نحو جيشه ويرفع يده إشارة للكلام، فيترنمون جميعًا.

– وحده النسل النقي سيكمل

ليسترد أرض النور من سيد الديجور

وحده ابن جار العظيم سيرحل

عبر ممر الهلاك سيلقى مخاوفه

عبر رحلته سيعرف من عدوه

وسيعود

ليكمل ما بدأه جار

سيعود ليحل السلام على أرض النور

ويستأصل في النهاية آخر الشرور.

قالوها مرة واثنان وثلاثة.

لم يوقفهم إلا ضحكات الساحر التي جلجلت في الآفاق مرة أخرى.

- أنتم بني جار تعتقدون بأنكم تملكون المعرفة لكل شيء، ألا تعرفون من أنا حقًا؟

ينظر الجميع إلى بعضهم البعض دون أن يعرفوا ماذا يقصد.

- أنا الابن الثامن لجار أيها الأغبياء، أنا چيمكا بن شفينخترا، الذي سلب ملكه لأجل فيار الضعيف، أنا الذي قطعت ممر الهلاك مثلك أيها الفاني، وأنا الذي سلب ملك أرض الديجور منه.

يصرخ في شدة.

- أزيدك القول، هل تريد أن تعرف من زوجة أبيك التي ولدت في شهر فقط هو وقت رحلة الصيد؟، ألا تريد أن تعلم من هي والدتك يا أيندجار؟

ينظر الجميع باهتمام.

- إنه أنا أيها الأغبياء!

ثم ينفجر بالضحك:

- تحولت إلى امرأة لا يستطيع أي مأفون من أبناء جار أن يقاوم جمالها، وولدت هذا الغبي الذي ظل يحزن أن أمه ليست بجانبه، أغبياء أبناء غبي، وستظلون كذلك دومًا.

يصرخ فيغيب نور نيبرا للحظات.

- هيا يا ناسناجار، مبارزتك الأخيرة ستكون معي لا مع أيندجار.

يسحب سيفه.

تنطلق الصواعق في السماء ويرتجف الجميع عدا ناسنا الذي ظل ثابتًا هادئًا في موقعه.

- لقد دعيتني لأقاتلك، ولكني تعلمت الدرس.

انضم وراءه روكنار، جرينبان، بهان.

- لن أقاتلك وحدي لأستقل بالشرف، بل سيقتلك أبناء جار مجتمعون ليعلم الجميع أنهم استحقوا الحياة.

يهجم الأربعة عليه، ويتقاتل بقية الجيشين، يهرب أيندجار وسبار من أرض المعركة، يقاتل الساحر بقوة خرافية ويتفادى ضرباتهم.

حتى استطاعوا أخيرا أن يتمكنوا منه.

حينما خر.

تقدم روكنار وبثقة من يعرف ماذا يفعله.

وضع خنجر أبيه الذي لم يستله منذ مقتله في قلب الساحر.

-لقد لقنني دومًا إياها، القلب يا روكنار.. القلب يا روكنار لا ترتكب خطئًا، بريدكار يرسل إليك تحياته من دنسولا، وسط لحم البراكي الذي لا يسمن.

اهتز جيش الديجور بعد مقتل الساحر، وبدأت تعلو كفة جيش ناسنا حتى دخل القصر وفر بقية جيش الديجور.

حينما دخل قاعة الحكم وجد سبار وأيندجار مقيدين، فأمر بقتلهما.

ثم نادى في الناس بأنه لا ظلم بعد اليوم.

استمر الأمر سبعة سنوات حتى عادت الأمور إلى ما تركها عليه قبل رحيله إلى ممر الهلاك.

كانت ڤيرجار في دعة من العيش.

وكان ناسناجار في راحة من الهلاك.

ولكن كديدن بني جار.

دومًا يتعلمون الأمر بالطريق الصعب.

النهاية

- جدي .. جدي.

يجري عليه الصغير سابهان ليحتضنه جرينبان في مودة.

- ماذا فعلت مع أبيك في المهرجان الكبير؟

يسأله جرينبان في مودة.

- فعلت الكثيييير.

ويضحك ضحكته الطفولية المحببة له.

يحضر بعده بهان الذي ينزل ليقبل يد والده:

- كيف ڤيرجار؟، أفتقد المدينة، منذ وفاة ساريبا ولم أعد أطيق دخولها.

- بخير يا أبت، تذكرني بأيام دخولي معك فيها أول مرة.

– وكيف حال الملك؟

يصمت بهان لفترة مما يزيد من قلق أبيه.

– ماذا يا بهان فلتتكلم!

– الملك على فراش الموت، يرسل إليك تحياته، ولقد حضرنا حفل تنصيب ميتيجار ملكًا أمس.

– ماذا؟!

يصرخ جرينبان في دهشة.

يسقط على أقرب مقعد له ويضع يديه حول رأسه.

– جدي.

يقترب منه سابهان في شفقة، يضع يده على رأسه ويقبلها.

يبتسم جرينبان رغمًا عنه.

– يقول أبي بأنك قاتلت بجانب الملك في المعركة الأخيرة أهذا حق؟

يسأله بشغف الأطفال:

– لا.

يجيبه جرينبان في اقتضاب، فيفزع الطفل.

– بل قاتلت بجانبه مرتين.

فيضحك الطفل ويأخذه جرينبان إلى الخارج ليحكي له:

– لن أحكي لك فقط المعركة، ولكني سأحكي لك أيضًا عندما غابت نيبرا عن سمائنا.

– أو غابت نيبرا؟!

يسأله الصغير مندهشًا.

يهز جرينبان رأسه تأثرًا.

ينظر ناحية القصر.

الذي يقبع به ملك.

خاض رحلته عبر ممر الهلاك.

ليعرف حقيقة نفسه.

عاد ليقود.

ليرجع الحق لأصحابه.

ملك تحيط به حاشيته الآن.

ينقصها الكثيرون ممن أحب.

تخرج روحه لتنطلق إلى ممر الهلاك.

حيث يجد بانتظاره آخر الحكماء ونينومشا ساعده.

يقودانه بيسر نحو دنسولا.

حيث جده جار أبيه، زوجته، أصدقائه.

حيث بريدكار الذي أنتظره طويلًا.

حينما ينظر آخر نظرة إلى ممر الهلاك .

يعلم جيدًا أنه لولا ملاقاة خوفه.

لما وصل إلى هنا سالمًا.

ولولا قتال نفسه.

لما أنقذها من الهلاك.

يبتسم.

ويرحل إلى دنسولا بلا رجعة.

منتظرًا من سيأتي بعده من الأحباب!

..تمت..

تعقيب أخير لا بد منه:

من قرأ لأحمد خالد توفيق -رحمه اللّه-، يعرف جيدًا حركة عكس الأسماء.

أن تكتب عن أرض خيالية يجب أن تخترع أسماءها الجديدة ومفردات لغتها الفريدة.

وقد حاولت قدر استطاعتي.

أعرف أنك عانيت قليلًا -أو كثيرًا- في البداية للتعود على الأسماء.

وأعرف أن كثرتها أزعجتك

أعتذر..

ولكن لم يكن باليد حيلة

أنا أيضًا عانيت منها (ضحكات متتالية)

أسر لك بشيء

لم تكن تلك القصة خيالية في أرض فانتازية

بل هي قصتك أنت،

قصة الإنسان دومًا في كل زمان ومكان

ناسنا

ن ا س ن ا

ا ن س ا ن

إنسان

هو أنت نعم، الذي لا بد أن تمر في ممر هلاكك في حياتك، لتصل إلى جنتك الدنيوية قبل الأخروية.

ميتي

م ي ت ي

ي ت ي م

يتيم

إيند

إ ي ن د

د ن ي ء

دنيء

شتاو

ش ت ا و

و ا ت ش

واتش: witch

مع تغيير النطق قليلًا، وحتى يصبح اسمه قريبًا من شفينخترا والدته.. أي ساحرة باللغة الإنجليزية

نينومشا

ن ي ن و م ش ا

أ ش م و ن ي ن

(أشمونين ألا تعرفه حقًا؟)

والبعض الأخر أخذته أو قاربته للأسماء التي أعرفها:

نيبرا: نبراس

قريصبان: قرصان

شفينخترا: كنت أريد اسمًا يبدو غريبًا وأقرب لساحرة، فلم أجد إلا اسم شفانيشتايجر لاعب الكرة الألماني لأحوره (أضحك على غضبك فلتعلم ذلك)

الأسماء الباقية وليدة خيال اللحظة

لم تكن مقصودة

ولو استبدلت اسم چينيچنا (الذي قد يكون مستقى من كلمة نينچا التي خطرت ببالي ساعتها) بعتريس فلن يحدث فارقًا يذكر.

إلا أن چينيچنا من رينجار وعتريس من الصعيد الجواني.

أما ممر الهلاك فهو أساس تلك القصة، والتي ابتدعت بقية أحداثها من أجله هو، هو فقط..

وإن لم تلحظ ذلك فهي مشكلتك حقًا..

تم اقتباسه بأسماء وديانه من خطايا دانتي السبعة في جحيمه..

ممر الهلاك: saligia

هو اختصار للحروف الأولى من الخطايا السبع باللغة اللاتينية.

Superbia

التفاخر، أو الفخر، والنظرة الدونية لمن هم أقل منك، والغطرسة، والزهو

Avaritia

الجشع أو الطمع

Luxuria

الشهوة، والفسق،

Invidia

الحسد.

Gula

الشراهة، والنهم، والإفراط في الاستهلاك.

Ira

الغضب

Aciditricia: Acedia & tristitia

اليأس، والملل، والقنوط

وأخيرًا أشمونين الذي ذكرته من قبل

(وهو لمن لا يعلم الاسم الذي أطلقه العرب على الإله الفرعوني تحوت وهو المقابل لرسول الآلهة في الميثولوجيا الإغريقية هيرمس هرمز)

فتحوت؛ هو من علم المصريين القدماء الحساب.

وهيرمس؛ هو الرسول الذي يبعث برسائل الآلهة بينها وبين البشر.

(أما أشمونين فأطلقت الآن على قرية بمحافظة المنيا وكان اسمها أيضًا هيرموبوليس لاحظ النسبة لهيرمس)، يقال أنها كانت مركز عبادة الثمانية، وهم الآلهة الخالقة في الميثولوجيا الفرعونية.

وهناك مدينة يونانية الآن تحمل نفس الاسم؛ هيرموبوليس..

هذا التعقيب لم أكن لأكتبه..

ولكني حاولت أن أتلافى خطأي السابق في أحد رواياتي.

ولتذهب نظرية موت المؤلف إلى الجحيم.

شكرا لطول بالك وأنك لم تمزق الرواية حتى وصلت إلى هنا

(الآن فقط يمكنك أن تمزقها ابتسامة ودودة).

فهرس الأسماء:

- أبناء النور: ساكني أرض رينجار وأحفاد جار
- الأراكشي: نوع من الزهور معروف بجماله وصلابته ضد التقلبات المناخية
- أيندجار: أخو الملك ناسناجار غير الشقيق، لم يعرف أحد له أمًا، وخلف أخوه بعدما رحل لممر الهلاك
- بادوغلا: حيوان مفترس، ويعتبر أشرسهم
- البراكي: حيوان لحمه شهي، الطعام المفضل لدى أبناء النور
- برجار: الملك والد ناسناجار وتانيبا الذي أخذ الملك من أخوه بعد قتله ونسله

- بريدبا بن برينكا: آخر سلالة الحكماء، الذي تتلمذ على يديه الحكماء من نسل جار، والذي لا يعلم ماهية خلقه أو عمره بالتحديد.
- بريدكار: صديق عمر ناسنا، وساعده الأيمن في الحكم، من نسل جار والصخريين.
- بريدسا: زوجة بريدكار، ووالدة روكنار
- بهان: ابن جرينبان خادم الملك
- بوراي: أخو بريدكار الذي قتل في المعركة الأخيرة على يد الساحر الأعظم.
- البيرفاق: سوس دقيق لديه القدرة على كسر أعظم الأشجار.
- بينجا: تلميذ حكيم النور الذي تركه في قيرجار، عندما رافق الملك ناسناجار في رحلته إلى ممر الهلاك.
- تاملا: الاسم الحقيقي للملكة فياراجارا زوجة ناسناجار.
- تانيبا: أخو ناسناجار الذي قتله عمه في مسابقة السيف.

- **تيرنا: بنت جرينبان**

- **جار: الأب الأول لأبناء النور، ومالك رينجار التي وهبها له ولأبنائه الإله الأوحد، والذي يضاف اسمه إلى اسم أي ملك من أحفاده عند توليته الحكم، كناسنا الذي أصبح ناسناجار عندما تُوج ملكًا.**

- **جارا: زوجة جار التي جعل نسل الملك فيها.**

- **جرينبان: خادم الملك في المعركة الأخيرة.**

- **جيلكا: زوجة جرينبان**

- **جنجار: جد الملك ناسناجار، الذي أعاد مسابقة السيف بعد أن ألغاها جده نيهجار.**

- **چينيچنا: من أصدقاء ناسنا ومعاونيه في الحرب والحكم، من نسل جار والعمالقة.**

- **چيمكا: الابن الثامن لجار.**

- **حكيم النور: هو حكيم المملكة وقيرجار، ويكون من نسل فيار بن جارا.**

- **دنسولا: الجنة التي يذهب إليها الموتى.**

- دهار: ابن جار من ميجرا القزمة.
- راونا: ابنة الملك فيرجار المجنون وخطيبة ناسنا، التي تزوجت قريصبان الذي هزمه في المبارزة.
- روكنار: ابن بريدكار وشريك الملك ناسناجار في رحلته لمر الهلاك.
- رينجار: أرض النور التي يسكنها أحفاد جار والتي سميت على اسمه.
- سابهان: حفيد جرينبان وابن بهان.
- ساريبا بن كيربا: صديق جرينبان وشريكه في خدمة الملك في المعركة الأخيرة، وفي تجارته الآن.
- سبار: من أصدقاء ناسنا ومعاونيه في الحكم، من نسل جار والأقزام.
- سراجويتنا: موطن نسل جار والمائيين.
- سونسيراب: من زمرة ناسناجار التي حولت دفة الحرب حينما هاجموا أرض الديجور.
- شتاو: صديق الملك أيندجار وقاتل بريدكار.
- شفينخترا: زوجة جار من نسل السحرة، التي لم تلد له إلا بحيلة تجسدها في شكل جارا، وهروبها بابنه الذي لم يستطع أن يعيده إليه.

الشومفادا: أشجار صلبة عصية على الكسر لا يفلها إلا سوس البيرفاق.

الفندار: أسرع الطيور المعروفة.

فوسيلا: حكيم النور في زمن الملك ناسناجار وسابقيه.

فيار: ابن جار الأصغر ووريثه الذي أتى من نسله معظم الملوك الذين حكموا رينجار.

فيارا: توأم فيار وزوجته.

فياراجارا: اللقب الذي يطلق على الملكة ويتغير إليه اسمها.

فيرجار: الملك عم ناسناجار المجنون الذي قتل ابن أخيه تانيبا.

قريصبان: قائد من نسل جار والمائيين، هزم ناسنا سابقًا، وتزوج خطيبته راونا، ثم قتله ناسناجار في المسابقة الأخيرة ليكفر عن خطيئته برحلة إلى ممر الهلاك.

قيرجار: عاصمة الحكم وأعظم مدن رينجار.

- ممر الهلاك (ساليچيا): ممر في أقصى الشمال من رينجار، يعبر السلسلة الجبلية ليفضي إلى أرض الأجداد وموطن الحكماء.
- ميتي: ابن الملك ناسناجار وخليفته.
- ميجرا: زوجة جار من نسل الأقزام.
- ناسناجار: الملك المعظم.. حفيد جار والنسل النقي.. حاكم الأرضين.. قاتل الساحر الأعظم.. وبطل قصتنا.
- نيبرا: كرة متوهجة لا تغيب عن أرض رينجار.. المرادف للشمس في عالمنا
- نيرفور: أرض الظلام أو الديجور، التي يسكنها السحرة، والأقزام، وشعور أخرى، والتي لا يصل إليها ضوء نيبرا، وهي الأرض المناوئة دائمًا لرينجار.
- نيلامي: صديقة راونا، والمرسال الواصل بين ناسنا وراونا في قصة حبهما.
- نينومشا: دليل العابرين لممر الهلاك، يتشكل في صورة أكثر الأشخاص تعليمًا للعابر.

- نيهجار: الجد الأكبر للملك ناسناجار الذي هُزم في مسابقة السيف من شخص مجهول من عامة الشعب اتضح بعد ذلك أنه ظل من ظلال الساحر الأخير، ودخلت البلاد في حالة حرب حتى تم قتل ذلك الظل.
- همريز: عراف المملكة.
- اليفعوم: شراب مسكر.

شكر خاص:

إلى إبراهيم عبد المعطي الذي أصبح إبراهيم عبد الخالق بعدما وصل إنكلترا لا أعرف لماذا.

إلى علي حمدي البحر

الذي لولا تشجيع الأول الدائم،

وثقة الثاني المستمرة،

لما خرجت أعمالي منذ زمن.

شكرا لكما حقًا..

ممر الهلاك

لا أحد يعرف بالضبط متى بدأت الحكاية، كل ما يعيه الأحياء هنا أنهم أبناء النور، عباد الإله الأوحد، ساكني أرض رينجار التي سميت على اسم أبيهم الأول جار.

تتوسط رايتهم البيضاء دائرة مطلية باللون الأصفر كما الدائرة التي تنير أرضهم دوما بلا اختفاء أو غروب فتحييها وتحييهم؛ (نيبرا)، لذا عرفوا بأبناء النور.

تنتهي حدود أرضهم ناحية الغرب والجنوب ببحر محيط لم يعبره أحد قبلا ورجع، أو هكذا يشاع، ويحيط بهم من الشرق والشمال سلاسل من الجبال العظيمة.

تفصلهم عن أرض الديجور في الشرق التي يطلق ساكنوها عليها (نيرفور)، وتفصلهم عن موطن الحكماء في الشمال الذي يُعبر إليه عن طريق ممر الهلاك (ساليچيا) .

محمد محمود سليمان

ممر الهلاك

COVER DESIGN BY AHMED FARAG

9 789776 542259

عصير الكتب للنشر و التوزيع